مقدمة الأمانة العامة لاحتفالية دمشق

عاصمة الثقافة العربية 2008

في الوقت الذي تقتحم فيه مفاهيم المعاصرة حياتنا اليومية، تزداد ضرورة تدعيم تلك الجسور التي تربطنا بالمبدعين المؤسسين لنصل بهم وعبرهم إلى نظرائهم المعاصرين، ليس من باب الاعتراف بالجميل وحسب، بل من باب الواجب المعرفي والأخلاقي.

ومن هذا المنطلق أخذت الأمانة العامة لاحتفالية دمشق عاصمة الثقافة العربية 2008 على عاتقها منذ البداية مهمة القيام بمشروع توثيق الذاكرة الثقافية السورية، ليشمل هذا المشروع الواسع مختلف الجوانب الفكرية والفنية والثقافية على حد السواء.

وقد استطاعت الأمانة العامة منذ بداية عام 2008 تنفيذ مجموعة من المشاريع التي تهدف إلى صيانة هذه الذاكرة من الاندثار، إذ أطلقت مبادرة مشروع ترميم الأفلام السينمائية السورية بالتعاون مع المؤسسة

العامة للسينما، رامية من هذه المبادرة إلى حماية وحفظ النسخ السلبية لأفلام رواد السينما السورية المهددة بالتلف والضياع.

كما نظمت مشروع إحياء الذاكرة التشكيلية السورية، حيث قامت بترميم وصيانة عدد كبير من لوحات رواد الفن التشكيلي السوري من مقتنيات المتحف الوطني التي تشكل إرثاً سورياً بامتياز نظراً للفترة التاريخية التي تغطيها، والتي تمتد من نهاية القرن التاسع عشر حتى أواخر القرن العشرين.

وفي السياق نفسه، حاولت الأمانة العامة تكريس واحد من أهم نشاطاتها الدورية، وهو "نادي الذاكرة" الذي يهدف إلى توثيق الذاكرة الشفهية السورية باستضافة شخصيات سورية ذات تاريخ غني وذاكرة حية تسمح بإنشاء آفاق تواصل بين الأجيال وتسهم بشكل أو بآخر في حفظ ذاكرة المدينة.

وضمن هذا التوجه يندرج مشروع "سلسلة ذاكرة المسرح السوري" الصادر بالتعاون مع دار ممدوح عدوان للنشر والتوزيع. حيث تهدف هذه السلسلة إلى إلقاء نظرة بانورامية على نصوص المسرح السوري وتوثيقه منذ فترة التأسيس وحتى الوقت الراهن ضمن رؤية متكاملة.

ويعتبر هذا المشروع منطلقاً هاماً للدارسين والباحثين في المسرح السوري، إذ أنه يسمح بإلقاء نظرة موسعة على سيرورة تطور النص المسرحي السوري بين القديم والحديث. ولذا فقد حاولت هذه السلسلة أن تشمل في إصداراتها مختلف الأسماء متبنية المنهج القائم على التسلسل التاريخي لإنتاج للنص المسرحي بعيداً عن أحكام القيمة وعن النظرات النقدية المسبقة.

تقدم هذه السلسلة نصوصاً تستعرض المسرح السوري منذ بداياته الأولى مع الرائد أبو خليل القباني مروراً بعبد الوهاب أبو السعود ووصفي

المالح وقائمة طويلة من الأسماء، وانتهاء بمجموعتين تضمان نصوصاً مسرحية لكتاب شباب معاصرين، على اعتبار أن هذه النصوص هي التي تعكس واقع النص المسرحي السوري اليوم، في انتظار أن تصبح يوماً ما جزءً لا يتجزأ من ذاكرة المسرح المحلي. وعسى أن تجد هذه النصوص، خاصة الحديثة منها طريقها إلى الخشبة في أقرب فرصة ممكنة، ليكون نشرها في هذه السلسلة خطوة أولى على طريق خروجها إلى النور.

من جهة أخرى، يسعى هذا المشروع أيضاً إلى التأكيد على أهمية النص المسرحي المقروء، ليس انتقاصاً من أهمية الجانب البصري والمشهدي من العملية المسرحية، بل سعياً إلى كسر حالة العزلة التي يعانيها هذا النص، باعتباره جنساً أدبياً قائماً بحد ذاته لا يختلف في انتمائه - اللغوي على الأقل - عن القصيدة أو الرواية أو القصة القصيرة.

تعمَّد القائمون على هذه السلسلة ألا تتضمن أية أبحاث نقدية أو مقدمات عن المسرحيات المنشورة رغبة في عرض النصوص دون أي تدخل تقييمي، وبذلك تترك الباب مفتوحاً أمام القارئ للحكم عليها وفق ذائقته الشخصية بعيداً عن أي تأثير ممكن من قبل المقدمين أو الناشرين.

جدير بالذكر أن أهمية هذا المشروع لا تتأتى من عدد النصوص التي تقوم السلسلة باستعراضها بل من نوعيتها، خاصة وأن مجموعة من المسرحيين أشرفوا على انتقائها، ليصلوا بها إلى صيغة تعكس في تنوعها وجودتها أفضل صورة ممكنة لتطور الحركة المسرحية السورية.

إن الأمانة العامة لاحتفالية دمشق عاصمة الثقافة العربية 2008، في إطار دعمها لدور النشر الناشئة المهتمة بالثقافة، تتقدم بالشكر إلى دار ممدوح عدوان لجهودها في دفع هذا المشروع قدماً. وهي تأمل أن تكون هذه السلسلة من أوائل المشاريع التي تتيح للقارئ العربي الإطلاع على

النص المسرحي المكتوب وفق منهجية بحثية وتاريخية مدروسة، بعيداً عن الاعتباطية أو العشوائية، لتصل إلى هدفها في تقديم الفائدة للقارئ المختص، والمتعة للقارئ العادي.

ذاكرة المسرح.. مسرح الذاكرة

كان ذلك في صيف 2002، ببيتٍ مُعلّقٍ بحي دمّر الدمشقي..

وكنا ثلاثة.. عمر أبو سعدة والفارس الذهبي وأنا..

لقاءاتٌ محمومة.. متواترة.. طويلة.. على مدى فصلٍ ساخن، والذريعة: الرد على أزمة النص المسرحي السوري، بنصوصٍ مكتوبة.

والحق.. الحق أننا كتبنا بعض النصوص.. ولكن هل وجدت طريقها إلى النشر والقراءة؟!

عروضٌ تلي عروضاً على مسارحنا العامة والخاصة.. غثٌّ وثمين..

مخرجون وممثلون يُدوِّنون رُؤاهم الآنيَّة على الريح، وما من كاتبٍ مسرحيٍ حق، يُطالعنا بين الفينة والأخرى، بنصٍ جديد بين غلافين. يبعثنا من بَلادتِنا لقراءة المسرح، حتى لكأن الكتابة لهذا الفن باتت أمراً عفى عليه الزمن، بحجّة أن المسرح للمشاهدة لا للقراءة.

ترى ماذا بقي من عروض شكسبير، وعويل ممثليه التراجيديين؟

ماذا بقي من معايشة ستانسلافسكي لشخصيات تشيخوف؟

أكاد أجزم وأقول: لا شيء سوى نصوص الكاتبين، بين أغلفةٍ تحمل اسميهما..

إذن لا ذاكرة لفن الريح هذا، دون تدوين على الورق، وهذا كان مشروعنا هذه المرّة: ذاكرة المسرح السوري..

وأنّى لنا أن نفعل هذا في مناسبةٍ غير أن تكون دمشق عاصمة للثقافة العربية، وأنّى لدار نشرٍ سوى دار ممدوح عدوان، المسرحي بامتياز أن تقوم بمشروعٍ كهذا..

ستة شهور من العمل.. اتفاقٌ على قراءة جميع النصوص المسرحية، ابتداءً بنصوص الرواد، وانتهاءً بنصوص الكُتَّاب المعاصرين.

انتقاء أفضل نصٍ تراه اللجنة القارئة للكاتب المقصود وإدراجه في السلسلة.

اعتماد التسلسل التاريخي لنصوص الكتاب تبعاً لتجربتهم، ما يعطي صورةً وافية لتطور الكتابة المسرحية في سورية.

تشكيل لجنة خاصة لقراءة نصوص الكُتَّاب الشباب..وهكذا كان..

نصٌّ مسرحي سوريٌّ طويل..نصٌّ للتذكُر..للتفكُّر.. للاستنباط وللمضي من حيث انتهى، لمن أراد أن يكتب للمسرح، ويخلص لفن الآن..وهنا..

الاستهلال لأبي خليل القباني.. الفصل الأول لعبد الوهاب أبي السعود ووصفي المالح وخليل هنداوي وحكمت محسن.. وتمر الفصول بالأسماء: محمد الماغوط، سعدالله ونوس، ممدوح عدوان وسواهم.. وتمرالأسماء بالفصول: وليد إخلاصي، فرحان بلبل، وليد مدفعي وسواهم لتكتمل ذاكرة المسرح السوري، ولتنفتح على آفاقٍ مقبلة.

كوميديات وتراجيديات.. مسرحيات قومية عنيفة وأخرى ذاتية.. بعضها منشور ومعروض على المسارح من قبل، وبعضها مخطوطات لم يجف حبر كاتبيها بعد، وإن كانوا قد كتبوها في أربعينيات القرن الماضي.. مئة سنة ونيِّف.. والكُتَّاب على اختلاف مشاربهم وأساليبهم يكتبون للآن.. وهنا، ولكنهم يُضمِّنون نصوصهم بين غلافين، ليدخلوا مسرح الذاكرة من أوسع أبوابه..

ذاكرة المسرح السوري..

تحية لمن كتب للمسرح.. الأحياء على الورق.. الأحياء لأنهم ذاكرتنا..

عدنان العودة

دار ممدوح عدوان للنشر

الفصل الأول

«صوت بلال يغني»

ألا أيهــا اللــيل الطويــل ألا انجــل

بصــبـح ومــا الإصــباح مـنـك بأمـثل

«المجموعة على المسرح. الحطيئة رجل عجوز ممدد في وسطها. مع فتح الستارة مباشرة ينهض الحطيئة من وسط المجموعة وهو يصرخ»

الحطيئة : ويل للشعر من رواية السوء.

«المجموعة تحاول أن تهدئه وتمسك به وهو يزداد عصبية وصراخاً»

الحطيئة : «يكرر النداء ذاته» ويل للشعر من رواية السوء.

واحد : اهدأ يا أبا مليكة. اهدأ.

الحطيئة : ويل للشعر من رواية السوء. أين مليكة؟

واحد : لقد أرسلنا في طلبها. اهدأ قليلاً يا أخي «يجلسه»

الحطيئة : أخيراً دنت المنية.

واحد : هل تريد أن توصي بشيء؟

الحطيئة : ويل للشعر من رواية السوء.

واحد : أوص رحمك الله يا حطيئة.

الحطيئة : من الذي يقول:

إذا أنبضَ الرامون عنها ترنمتْ
ترنُّمَ ثكلى أوجعتها الجنائزُ؟

واحد : إنه الشماخ.

الحطيئة : أبلغوا بني غطفان أن فتاهم أشعر العرب.

واحد : ويحك يا رجل. أهذه وصية؟ أوص بما ينفعك.

الحطيئة : ويل للشعر من رواية السوء. أبلغوا أهل ضابيء أنه شاعر حيث يقول:

لكل جديد لذة غير أنني
رأيت جديد الموت غير لذيذ

واحد : أوصِ بما ينفعك يا أخي.

الحطيئة : ابلغوا الأنصار أن صاحبهم أشعر العرب حيث يقول:

يُغشَون حتى ما تهر كلابهم
لا يسألون عن السواد المقبل

واحد : هذا لا يغني عنك شيئاً. مالك وللشعر الآن؟!

الحطيئة : «ينهض» ويل للشعر من رواية السوء.

الشعر صعبٌ وطويلٌ سلمُهْ
إذا ارتقى فيه الذي لا يعلمه
زلت به إلى الحضيض قدمه

واحد : «يسحبه» يا جرول. هذا مثل الذي كنت فيه نريدك أن توصي بما ينفعك.

الحطيئة : لن ينفعني إلا هذا. أبلغوا أهل امرئ القيس أنه أشعر العرب إذ يقول:

فيا لك من ليل كأن نجومه
بكلِّ مَدارِ الفَتْلِ شُدّت بيذْبُلِ

«يشرد. فيصمتون حوله»

صوت بلال : «يغني . . كأنما من ذاكرة الحطيئة»

كليني لهم يا أميمة ناصب
وليلٍ أقاسيهِ بطيء الكواكبِ
تطاول حتى قلتُ ليس بمنتهٍ
وليس الذي يرعى النجومَ بآيبِ

الحطيئة : «يتنهد» والله لن أرى صباح الغد

واحد : يا أبا مليكة. ألك حاجة؟

الحطيئة : لا والله، ولكن أجزع على الشعر الجيد يمدح به من ليس له أهلاً.

واحد : قل أعوذ بالله من الشيطان الرجيم

الحطيئة : قالت وفيها حيدةٌ وذُعرُ
عوذ بربي منكم وحجرُ

واحد : ما تقول في عبيدك وإمائك؟

الحطيئة : هم عبيد ما عاقب الليل النهار.

واحد : لكنك كنت تحب العبيد وتشفق عليهم.

الحطيئة : لست أنا الذي استعبدتهم.

واحد : لكنك تستطيع أن تحررهم

الحطيئة : لا. عليهم أن يحرروا أنفسهم. لا تتساهلوا مع عبيدكم إذا كنتم تحبونهم لئلا يحبوا عبوديتهم.

واحد : لا بأس، لا بأس، فلتوصِ للفقراء بشيء.

الحطيئة : أوصيهم بالإلحاح في المسألة فإنها تجارة لا تبور وإن أست المسؤول لأضيق.

واحد : فما توصي لليتامى؟

الحطيئة : كلوا أموالهم وضاجعوا أمهاتهم.

واحد : أستغفر الله العظيم.

واحد : فلم ذلك يا جرول؟

الحطيئة : لكي يعرفوا حرمانهم الحقيقي.

واحد : فما تقول في مالك؟

الحطيئة : للأنثى من أولادي مثل حظ الذكرين.

واحد : لاحول ولا قوة إلا بالله

واحد : ليس هذا ما قضى الله عز وجل.

الحطيئة : لكنني هكذا قضيت. إن جاءت ابنتي لم تجد غير ثدييها تأكل بهما فتفعل ما فعلته أمي وتجلب ولداً معذباً مثلي.

واحد : ليس هذا عذراً كافياً لمخالفة الله عز وجل.

واحد : لن يرضى الله عن هذا.

الحطيئة : «يضحك» أنا أعرف أن الله ليس راضياً عني فعلت ذلك أم لم أفعله، ولن تسيئه معصية جديدة أجنب بها ابنتي أن تأكل بثدييها وأن تنجب أطفالاً ضائعي النسب.

واحد : لا تيأس من رحمة الله. تب اليه لعله يغفر لك ويدخلك جنته.

الحطيئة : إنه في غنى عن توبتي، فإن كان لي في جنته نصيب سآخذه بهذا البيت:

من يفعل الخير لا يعدم جوازيه
لا يذهب العرف بين الله والناس

«يحس بالتعب»

واحد : فهل لك شيء تعهد فيه غير هذا؟

الحطيئة : نعم، تحملونني على أتان وتتركوني حتى أموت.

واحد : ولم ذلك؟

الحطيئة : إن الكريم لا يموت على فراشه. والأتان مركب لم يمت عليه كريم قط ولا تنسوا أن تجمعوا الصبيان ليغنوا.

لا أحــد ألأمُ مــن حطــيّة
هجــا بنــيه وهجــا المُــرية
مــن لؤمــه مــات علــى فَــرِية

واحد : وما الفرية يا أبا مليكة؟

الحطيئة : «بمرارة» هي الأتان يا حمار، هيا نفذوا وصيتي، إنها أمانة في أعناقكم.

«يحملونه ويخرجون به متضاحكين، يبدأ الغناء وهم يخرجون من المسرح لا أحد ألأم من حطيئة .. الخ .. ويخفت غناؤهم تدريجياً لكنه يظل مسموعاً بينما يرتفع صوت بلال مغنياً فوق غناء الجميع»:

بلال : ألا أيها الليل الطويل ألا انجل
بصبحٍ وما الإصباح منك بأمثل

«بغتة يندفع وحشي مرتمياً على المسرح وكأن شخصاً قد رفسه من وراء الكواليس آخر المجموعة ينتبه إليه ويعود إليه بعضهم».

«وحشي عجوز منهك وسكران».

واحد : من هذا؟

واحد : أراهن أنه وحشي.

واحد : هو بعينه.

واحد : سكران كالعادة.

واحد : ومطرود كالعادة.

واحد : متى تتوقف عن هذا السكر يا رجل؟

واحد : دعوه فهذا من غضب الله عليه بعد ردته.

واحد : دعوه يا ناس أنتم أدرى بحالته.

واحد : مسكين.

واحد : ألا يكفيه إزعاجه لنفسه أتريدون أن نزعج أنفسنا به؟ . دعونا نذهب إلى بيوتنا.

واحد : مسكين سيموت لأنه لم يعرف القناعة.

واحد : إنه يحصد ما زرع. لو عاش مئة عام أخرى لما كفته ندماً.

واحد : الندم بعد فوات الأوان.

وحشي : «صارخاً كالوحش» لا لم أندم. أنا لست نادماً «يحاول النهوض متكئاً على حربته فيفشل، يحاولون مساعدته فيرفض» دعوني.

واحد : سكران.

واحد : كالعادة.

واحد : ستقتلك الخمرة والندامة.

واحد : مسكين.

وحشي : «يهدد بحربته وهو على الأرض» أحذركم أن تعيدوا على مسمعي كلمة مسكين، لا أريد أن أسمعها؟ أنا لست نادماً.

واحد : «مجاملاً» أعرف. إنك متألم فقط.

وحشي : لست متألماً.

واحد : «مستمراً في المجاملة» كنت أعني أنك ربما كنت متألماً من تعثرك وسقوطك.

وحشي : لم أتعثر.

واحد : ولكنني رأيتك تسقط.

وحشي : لأنهم دفعوني.

واحد : من؟

وحشي : «بشراسة» السادة. طردوني من مجلسهم لأنني كنت أريد مشاركتهم فيه «منفجراً بألم» إنهم لايرونني إنساناً، لا يرونني إلا عبداً.

واحد : لا بأس عليك يا أخي «يقترب منه بمودة» هل هناك ما يؤلمك؟

وحشي : أخ يا آخي لو أنك تعرف ما يؤلمني.

واحد : قل لنا نحن نساعدك.

وحشي : تساعدني؟ لا أحد يستطيع أن يساعدني. لم يستطع أحد أن يساعدني حتى رسول الله.

واحد : توكل بالله يا أخي «يحاول أن يرفعه»

وحشي : «ينتزع نفسه منه بقوة» دعني، دعوني كلكم، لا أريد أن أرى أحداً لا أريدكم جميعاً.

واحد : لاحول ولاقوة إلا بالله.

واحد : رائحة الخمرة تفوح منه.

وحشي : ما المانع من رائحة الخمرة؟ غضب الله؟ ماذا يفعل المغضوب عليه سلفاً والذي تجاوز إمكانية التوبة؟.

واحد : توكل بالله يا وحشي. إن كنت قد قتلت الحمزة، فإن جهادك في سبيل الله كفارة لك عن ذنبك هذا. أما ما أنت عليه الآن فلم يفت الأوان بعد على التوبة.

وحشي : بل فات الأوان. «بمرارة» فات الأوان منذ زمن بعيد «يحاول أن يتكئ على رمحه فيفشل» أرأيتم؟ لقد فات الآوان منذ أن عجزت يميني عن القتال. ضاع الأمل.

واحد : ولكنك جاهدت بما فيه الكفاية، أنت قاتل الحمزة لكن أنت قاتل مسيلمة.

وحشي : «يهز رأسه بألم» وما الفائدة؟ كان أملي أن أقتل، وأنا أجاهد فأحتسب شهيداً. ولكن الله لا يريد أن يغفر لي ولذا لم يجعلني استشهد. أوصلني إلى العجز عمداً. سآتيه غداً بذنوبي كلها «يكاد أن يبكي» وها أنا مجرد مرتد سكير مخمور عجوز «يزحف إلى جانب ويتكئ ليسترخي. يتحدث بضعف» دعوني أنم أرجوكم. «يهدأ قليلاً يتبادلون النظرات. ينسحبون ببطء. إطفاء تدريجي حتى يظل وحشي وحده في بقعة ضوئية. صوت بلال يتسرب كأنه في الحلم».

صوت بلال : ألا أيها الليل الطويل ألا انجلي

بصبح وما الإصباح منك بأمثل

«صرخة امرأة تولول على قتيل. يمكن أن نرى المرأة أو لا نراها. تندب مغنية.. كافة الأصوات في هذا المشهد نستطيع أن نقدمها مجرد أصوات أو أصوات من أشباح غير واضحة. أو من شخصيات واقفة في بقع ضوئية موزعة. إنها عذابات وحشي».

صوت المرأة : «تغني»

بكت عيني وحق لها بكاها

وما يغني البكاء ولا العويل

على أسد الإله غداة قالوا

أحمزةُ ذلك الرجل القتيل؟

هند : «تخاطب وحشي»

شفيت نفسي قضيت نذري

شفيت وحشي غليل صدري

حسان بن ثابت : دع عنك داراً عفا رسمها

وابك على حمزة ذي النائلِ

مال شهيداً بين أرماحكم

شُلَّتْ يدا وحشيٍّ من قاتلِ

أظلمتِ الأرضُ لفقدانه

واسودَّ نورُ القمرِ الناصلِ

هند : فشكر وحشي عليّ عمري

حتى يَرِمّ العظم في قبري

صوت المرأة : «تغني»

بكت عيني وحق لها بكاها

وما يغني البكاء ولا العويل

عــلى أســد الإلــه غــداة قــالوا

أحمــزةُ ذلــك الــرجل القتــيل؟

حسان : مــال شـــهيداً بــين أرمـــاحكم

تبــت يــدا وحشــي مــن قــاتل

تبــت يــدا وحشـــي مــن قــاتل

وحشي : «صارخاً . . يمكن تقديم صوته وتركه نائماً»

بل تبت يدا أبي جهل تبت يدا أبي سفيان. تبت أيدي خياركم في الجاهلية الذين أصبحوا خياركم في الإسلام. تبت أيدي أولئك الذين هربنا منهم إلى الإسلام فتبعونا إليه.

هند : «بتشف»

فشـــكر وحشـــي علـــيّ عمـــري

حـــتى يـــرم العظـــم فـــي قـــبري

«إطفاء تدريجي على ضحكات هند المتلاشية وصوت بلال القادم من بعيد»

صوت بلال : كلـيني لهـم يـا أمـيمة ناصـب

ولـيلٍ أقاسـيه بطـيء الكواكـب

تطـاول حـتى قلـت لـيس بمنـته

ولـيس الـذي يـرعى الـنجوم بآيـب

«يستمر الغناء حتى يضاء المسرح من جديد. نحن في شارع في مكة والمشهد ليل مقمر، ضوء مصباح أمام أحد البيوت، عودة زمنية إلى الوراء . . أيام شبابهما».

«الحطيئة شاب قصير وقبيح يتمشى وصوت الغناء مستمر. رجل يمر بالحطيئة فيتمعن به قليلاً حتى يعرفه. الحطيئة يجلس في طرف المسرح. الرجل يتجه إليه».

الرجل : مرحباً بك يا أبا مليكة، «يندفع نحوه بحماس»

الحطيئة : «دون أن يلتفت إليه. يتمتم» مرحباً.

الرجل : «يصدم لبرود الحطيئة تجاهه، يتردد قليلاً ويتجه للخروج».

الحطيئة : «مشيراً إلى الجهة التي يأتي منها صوت بلال» أسكت لي هذه البومة التي تنعق إن رأيتها في طريقك.

الرجل : «وقد وجد فرصة للكلام» إنه بلال عبد أمية. بلال صاحب أجمل صوت في هذه الديار.

الحطيئة : إنه يعكر علي صفو ليلتي الهادئة. أسكته.

«ضحكات تصدر من البيت الذي أمامه المصباح. الحطيئة يقفز مستنكراً. يتنبه للرجل الذي ما زال واقفاً»

ماذا تفعل هنا أيها الرجل؟

اذهب إلى أهلك ودعني وحدي.

الرجل : «مطيعاً» كما تريد يا أبا مليكة «يخرج».

الحطيئة : «وحده ينصت فلا يسمع شيئاً» اللعين. لقد سكت.

كان صوته جميلاً. «يجلس بهدوء».

«يفتح الباب الذي عليه المصباح بعنف ويتدحرج منه وحشي مرفوساً حتى منتصف المسرح ينهض ويتناول حربته يريد العودة للشجار باتجاه الباب. يقف متردداً يبصق على الباب ويتلفت ليعود وحشي شاب زنجي»

الحطيئة : «يقهقه قهقهة مفاجئة صاخبة. وحشي ينظر إليه متفاجأ في البداية ثم يتجه إليه مستفزاً»

وحشي : من أنت أيها القملة؟

الحطيئة : «تخفت ضحكته تدريجياً. وفي شيء من الوجل باستهزاء يجيب» قملة.

وحشي : قملة تحتاج إلى سحق.

الحطيئة : فعلاً «يتمشى مبتعداً عنه بهدوء وحذر»

يجب أن تسحق قملة مثلي طالما أنك لم تستطع أن تسحق هؤلاء «مشيراً إلى الباب» أنا الآخر أحتاج إلى سحق شيء ما. ولكن يجب أن يكون أضعف مني.

وحشي : وتظن الآن أنني الشخص المطلوب؟

الحطيئة : لا. فعلى الرغم من أنك لا تبدو من سادة العرب ولاتجارها، لكنك لا تبدو أضعف مني.

وحشي : إذن ثق أنني أنتظر أن تتفوه بكلمة سوء واحدة حتى أترك حربتي هذه تمرق بين أضلاعك.

الحطيئة : «دون أن يبدو عليه الخوف» جميل، فيحقق كل منا غرضه. ترتاح من غضبك وأرتاح من حياتي.

وحشي : أنت إذن لا تعنيني ؟

الحطيئة : لا، إنك لم تعرفني بعد. وإلا لما هددتني.

وحشي : «باستهزاء» ومن أنت؟

الحطيئة : أرأيت؟ أنت لم تعرفني لأنك عبد.

وحشي : عبد؟.

الحطيئة : نعم. السادة وحدهم يعرفونني ولذلك فإنهم لا يهددونني «يهمس له» إنهم يخافونني.

وحشي : «مستصغراً شأنه» أنت يخشاك السادة؟ لماذا؟.

الحطيئة : لأنهم كالطواويس. يخافون أن ينتف ريشهم. أنت بلا ريش ولذلك فأنت لا تخاف.

وحشي : ومن يستطيع أن ينتف لهم ريشهم؟

الحطيئة : أشعر العرب.

وحشي : أنت؟

الحطيئة : «يمد لسانه» بل هذا إن قال هجاء أو طمع في خير.

وحشي : «يبتسم وقد عرفه أخيراً» الحطيئة؟.

الحطيئة : نعم.

وحشي : ما الذي جاء بك؟.

الحطيئة : الحاجة ولقمة الصغار.

وحشي : هل تقصد شخصاً محدداً؟.

الحطيئة : «يشير إلى المال» أقصد شخصاً محترماً واحداً.

وحشي : أنصحك بالتوجه إلى أبي سفيان. إنه رجل ميسور وكريم. لقد عادت قوافله اليوم من الشام فأعطى وأجزل في العطاء.

الحطيئة : أنت من عبيده إذن؟.

وحشي : لا إني من عبيد رجل آخر لكنني أعرفه جيداً، لو توجهت إليه ومدحته أو وصفت زوجته هند بنت عتبة وصفاً محتشماً لكفاك الحاجة ولمنحك حمايته. إنه يحمي كل ما تقع عينه عليه.

الحطيئة : يبدو أن عينه لم تقع عليك.

وحشي : أنا؟ لماذا؟ أنا لست من عبيده ولكن لو طلبت حمايته لمنحني إياها.

الحطيئة : ولماذا لا تطلبها مادمت على هذه الحال؟.

وحشي : «مشيراً إلى الباب» من أجل هذا؟ لو سمع بالأمر لغضب مني هو الآخر.

الحطيئة : لماذا طردوك؟.

وحشي : أردت أن أجلس مع السادة.

الحطيئة : «يضحك» فهمت. أحلامك إذن تصل إلى مجلسه ولذلك فهو لا يحميها.

صوت بلال : تطاول حتى قلت ليس بمنته

وليس الذي يرعى النجوم بآيب

الحطيئة : «ينصت باهتمام»

وحشي : «ينتبه لاهتمام الحطيئة» هل أعجبك صوته؟.

الحطيئة : وأعجبني الشعر.

وحشي : إنه بلال. عبد تافه لأمية.

الحطيئة : تافه؟ لماذا تراه تافهاً؟.

وحشي : لامطامح لديه. إنه كما ترى يظل وحيداً. أخذ ما أعطاه إياه سيده أمية بعد عودة القافلة، وبدل أن يبحث عن وسيلة لإنفاقها يذهب إلى العراء ليغني.

الحطيئة : وماذا تريد منه أن يفعل؟.

وحشي : أن يصبح سيداً. استغرب كيف لا يطمح كل عبد إلى أن يكون سيداً.

الحطيئة : «يشير إلى الباب» لا يبدو أن الأمر سهل.

وحشي : ليس سهلاً بالطبع. ولكن يجب أن لا يتخلى المرء عن مطامحه.

الحطيئة : وإذا أصبح العبيد سادة فماذا يفعل السادة يا . . ماذا قلت لي اسمك؟ .

وحشي : اسمي وحشي. إنهم سيقاومونه بالطبع. ولكنه يستطيع أن يفعل شيئاً. ليس الطريق مسدوداً أمام العبيد. أنت تعرف ما الذي فعله عنترة.

الحطيئة : كان زماناً مختلفاً يا . . ياوحشي.

وحشي : «بإصرار»لا كان عبداً استطاع أن يسود قومه وأن ينال حبيبته عبلة بسيفه. كل عبد يستطيع أن يحمل سيفه وأن يسود قومه.

الحطيئة : «ضاحكاً بسخرية» وبعد أن يسود قومه يمسكون به من يديه ورجليه ثم يقذفون به من الباب.

وحشي : جرول، اسمعني جيداً يا أخي أنت شاعر، يجب أن لا تكون محدود المطامح. إنني أستغرب كيف لا تطمح أن تسود بني عبس. ألست أنت ابن أوس العبسي. ؟ لماذا تسكت على أمرك ولا تطالب به كما فعل عنترة؟

الحطيئة : «يتنهد بألم ولا يجيب».

صوت بلال : «يقترب حتى يظهر بلال»

ألا أيها الليل الطويل ألا انجلي

بصبح وما الإصباح منك بأمثل

بلال : «يتمعن في الظلمة ليتبين الموجودين».

وحشي : بلال. تعال أيها العبد المنكود. تعال يا صديقي.

بلال : من معك؟

وحشي : آنه الحطيئة. الشاعر المعروف، تعال غننا.

بلال : لم تعد لدي رغبة في الغناء.

وحشي : «بحماس» هل أجلب لك شراباً؟

بلال : لا. لا أريد.

وحشي : حبيبي بلال. تعال غننا شيئاً.

بلال : «يدندن» وليل كموج البحر أرخى سدوله

وحشي : «مقاطعاً» إلى متى نغني لليل؟

بلال : حتى ينجلي الليل.

وحشي : لن ينجلي بغنائك. غننا شيئاً لعنترة

بلال : لقد أرهقتني بعنترة من الشام حتى هنا.

وحشي : «كالحالم»

لما رأيت القوم أقبل جمعهم
يتذامرون كررت غير مذمم
يدعون عنتر والرماح كأنها
أشطان بئر في لبان الأدهم
مازلت أرميهم بثغرة نحره
ولبانه حتى تسربل بالدم
فازورّ من وقع القنا بلبانه
وشكا إلي بعبرة وتحمحم
لوكان يدري ما المحاورة
ولكان لو علم الكلام
ولقد شفى نفسي وأبرأ سقمها

بلال : «مكملاً بسخرية» قيل الفوارس ويك وحشي أقدم.

الحطيئة : «ينهر بلال» إنها أبيات جميلة.

بلال : يا أخي هذه هي المرة الألف التي أسمع بها هذه الأبيات منه خلال الأيام القليلة الماضية. ما ذنبي إذا كان لا يستطيع أن يصبح مثل عنترة.

وحشي : تسخر مني. أليس كذلك؟ سترى. ذات يوم سيقال لي كما قيل لعنترة «كر وأنت حر» وبهذه الحربة سأصبح حراً، وتبقى أنت ترزح في عبوديتك «يمثل»

وإذا الكتيبة أحجمت
ألفيت خيراً من مُعِمٍّ مخول
والخيل ساهمة الوجوه
تسقي فوارسها نقيع الحنظل

بلال : «يتوجه للحطيئة» إنه يحلم دائماً كما ترى.

«تدخل هند وأبو سفيان فيسرع إليهما وحشي ويسلم عليهما مقبلاً أيديهما».

الحطيئة : من هؤلاء؟

بلال : أبو سفيان وزوجته هند بنت عتبة.

الحطيئة : يبدو أن وحشي يحب أن يخدمهما رغم أنه ليس عبدهما.

بلال : «يغمز له» يريد أن يكون كلباً لأمير عظيم، لكي يكون كلباً عظيماً.

هند : «لوحشي» من هذا الرجل القبيح؟

وحشي : إنه الحطيئة الشاعر العبسي يا سيدتي.

أبو سفيان : الحطيئة «يتجه إلى الحطيئة» السلام عليك يا أخا العرب.

الحطيئة : وعليك السلام يا سيدي.

أبو سفيان : أنا أبو سفيان. إنه ليسعدني أن تكون ضيفي.

الحطيئة : ويسعدني أنا أيضاً يا سيدي.

أبو سفيان : أأنت وحيد؟ أم جلبت أهلك معك؟

الحطيئة : بل معي أهلي، لقد تركت زوجتي وبناتي في ظاهر المدينة. إنني رائدهم. جئت أنتجع الكلأ لهم. ويسرني أن أجد لهم مرعى عندك.

أبو سفيان : بل عندنا صدر بيتنا، اذهب وعد بهم.

«يخرج الحطيئة مزهواً وهو يرمق بلال ووحشي باحتقار»

أبو سفيان : «ينتبه لبلال» ألست بلالاً عبد أمية؟

بلال : نعم، أنا بلال يا سيدي.

أبو سفيان : اذهب وادع سيدك، قل له أن الأمر هام وخطير.

بلال : سمعاً وطاعة ياسيدي.

أبو سفيان : سأنتظره هنا. «يشير إلى الحانة، يخرج وهو يقول لهند»أما أنت فسيوصلك وحشي إلى البيت.

«يخرج أبو سفيان من باب الحانة. هند ووحشي وحدهما. وحشي يسير معها وهو يضرب الأرض بالحربة»

هند : وحشي، كفاك لعباً بهذه العصا.

وحشي : عصا؟ «ينظر إلى حربته» إنها حربة يا سيدتي. انظري «يطعن بها الأرض».

هند : حسن، إنها حربة، لماذا تظل تلعب بها؟

وحشي : إنني لا ألعب بها يا سيدتي، هذه الحربة هي أنيسي الوحيد في ساعات الوحشة إنني أكلمها ولا ألعب بها.

هند : «تضحك» تكلمها؟ ماذا تقول لها؟

وحشي : أقول لها، أنت مفتاح حريتي ومستقبلي. أنت أملي الوحيد في هذا العالم. أنت النافذة الوحيدة التي يتسلل منها الضوء إلى قلبي، أقول لها يا سيدتي:غداً تأتي لحظة مناسبة أكون فيها قريباً من سيدتي هند ثم يتهددها خطر ما، وينصرف عنها خدمها مذعورين، ويهلك من دونها السادة والفرسان عندها تصرخ بي سيدتي كر عليهم يا وحشي. فأتباطأ عنها.

هند : تباً لك من عبد خسيس لماذا تتباطأ عني وأنا في تلك المحنة؟

وحشي : «يتجاهل كلامها» وأقول لها يا سيدتي، أنا عبد، والعبد لا يحسن الكر، العبد يتقن الصر فقط. فتقول لي مولاتي: كر وأنت حر. عندها يا سيدتي تنهض هذه الحربة لخدمتك ويقوم وحشي بجندلة الفرسان من حولك «يقوم بحركات قتالية» هكذا. هكذا. هكذا.

هند : «تستغرق في الضحك» كفاك، كفاك، كفاك، حركات مضحكة.

وحشي : «يداري ألمه» هل روحت سيدتي عن نفسها؟

هند : لمن هذا الكلام الذي كنت تردده؟ كأنني سمعته فيما مضى.

وحشي : أي كلام تعنيه سيدتي؟

هند : كر وأنت حر، هذا الكلام.

وحشي : هذا الكلام يا سيدتي قيل لعنترة، ولكنه بعد أن كر لم يف أهله وسادته بوعودهم له حتى أجبرهم على ذلك بالسيف. وصار سيدهم.

هند : وهل تحلم أيها العبد الدنيء أن تسود قريشاً؟

وحشي : لا يا سيدتي، آنا لا أحلم إلا أن أنال حريتي.

هند : وهل هناك ما يضايقك في خدمة سيدك؟ أستطيع أن أطلبك منه أم أنك تتضايق من خدمتي أيضاً؟

وحشي : حاشاك يا سيدتي.

هند : لم إذن تريد حريتك؟

وحشي : لكي أسود نفسي، لكي أملك الحق في النظر إليك بملء عيني.

هند : احتشم يا عبد السوء وإلا أمرت أن يسلخوا جلدك بالسياط.

وحشي : لا ياسيدتي. أنت لا تحتاجين أن تأمري أحداً حين أكون موجوداً. إنني أريد أن أكون حراً لكي تأمريني فأطيعك كالعبد، أريد أن أكون عبدك بملء حريتي.

هند : «تضحك مغتبطة» كفاك ثرثرة لقد أضعت وقتنا. يجب أن نسرع لكي نصل قبل حلول الظلام.

وحشي : سنسرع يا سيدتي ولكن أرجو أن تبقي في ذهنك أنه إذا صدف واحتجت إلى شيء ولم تجدي أحداً حولك فتذكري أن هناك عبداً عند قدميك سيسعده أن يخدمك «يقترب منها».

هند : عليك اللعنة. إن رائحة الخمر تفوح منك، متى ستتوقف عن السكر؟

وحشي : حين يتوقف هذا الألم في قلبي.

هند : «تضحك»أستطيع أن أكمل وحدي من هنا، اذهب أنت وصاحب الشاعر.

وحشي : لا يا سيدتي سأوصلك إلى البيت أولاً. «يخرجان».

إطفاء

«المجموعة في أرجاء المسرح بعضهم يشرب، بعضهم يستلقي مسترخياً، الفقر واضح على الجميع، إنهم متشردون حول الكعبة».

رجل 1 : أسمعت مثلي؟

رجل 2 : ماذا؟

رجل 1 : فتنة جديدة.

رجل 3 : «يقترب منهما فيبتعدان عنه»

رجل 2 : أية فتنة؟

رجل 1 : محمد بن عبد الله، ألا تعرفه؟

رجل 2 : «يحاول أن يتذكر» ما به؟

رجل 1 : خاصم سادة قريش كلهم وبما فيهم أعمامه.

رجل 3 : وماذا يريد؟

رجل 2 : لا أدري ولكن لم يقف معه إلا عمه أبو طالب. ومن المتوقع أن تقوم فتنة كبيرة.

رجل 1 : ومالنا ولهذا الأمر؟ قل لي متى سيأتي صاحبك؟

رجل 2 : قبيل الفجر؟

رجل 3 : «يقترب منهما مرة أخرى» من هو صاحبه هذا؟

رجل 2 : لا أحد، مسألة شخصية.

رجل 3 : مسألة شخصية؟ أتخفيان عني؟ ما هكذا يكون الوفاء. أنا لم أنسكما حين جاؤوا يدعونني لمهاجمة القافلة على طريق الطائف.

رجل 2 : من قال لك أنها مهاجمة قافلة هذه المرة.

رجل 3 : وماذا ستكون؟ هيا، هيا، آخبراني بسرعة، يجب أن لا يفسدكما الطمع وكأنكما من علية القوم.

«رجل 1 ورجل 2 يتبادلان النظرات».

رجل 1 : وهل تعدني بأن لا تخبر أحداً ؛

رجل 3 : وهل أنا ابن اليوم في هذا الأمر؟

رجل 2 : هل ستخبره؟

رجل 1 : نعم. سنحتاج إليه أيضاً وأنا أثق به «للثالث» اسمع بعد قليل سنلتقي قرب جبل هند حيث يوافينا رجل يحتاج إلينا.

رجل 3 : ولماذا نلتقي؟ سأبقى معكما حتى نلاقيه.

رجل 2 : ألا تأمنّا؟ سنذهب لتوديع عيالنا.

رجل 3 : أنا لا عيال لي إلا هذا السيف «لرجل 1» وأنت أيضاً. منذ أن خلعك أبوك أمام الكعبة لم يعد لديك ما تودعه «للثاني» سننتظرك قرب الجبل.

رجل 1 : لابأس. نبقى معاً «للثاني» وننتظرك معاً جنوبي الجبل.

رجل 2 : لا بأس - «يخرج».

رجل 1 : هيا بنا «يخرجان»

«في الطرف الآخر»

رجل 1 : وكم سيعطيك؟

رجل 2 : ديناراً عن كل ناقة في قافلة

رجل 1 : وبعد أن توصله تعود وحدك فيلاقيك الصعاليك وينهبونك.

رجل 2 : الصعاليك؟ ولماذا يلاقيني الصعاليك؟ ستخدعهم ملابسي. من سيظن أن في هذه الأسمال مئتي دينار. ولا تنس أن لدي معرفة لا بأس بها بمسالك الصحراء تساعدني على تجنب قطاع الطرق.

رجل 1 : لاترفع صوتك قد يكونون هنا.

رجل 2 : «ينهض» سأذهب لملاقاته أمام بيت أبي سفيان. «يخرج».

رجل 1 : «يراقبه حتى يخرج، يقترب من رجل آخر يسترق السمع» هل سمعت؟

رجل 3 : سمعت.

رجل 1 : ماذا تقترح؟

رجل 3 : وهل هناك حل آخر؟

رجل 1 : سنلاقي له ملثمين.

رجل 3 : ولماذا لا نقطع طريق القافلة؟

رجل 1 : أمجنون أنت؟ قافلة من مئتي بعير مع حراسها وخدمها وأدلائها.

رجل 3 : يجب أن نجد طريقة. فكر في الأمر. حمولة مائتي بعير تعبر الصحراء ونحن هنا ليس لدينا عشاء.

رجل 1 : تحتاج سرقتها إلى جيش كامل.

رجل 3 : سنشكل جيشاً.

رجل 1 : وأين ستجده؟

رجل 3 : طف بمكة ساعة. وأشع بين جياعها نبأ قافلة من مئتي بعير تجمع جيشاً يجلبها من اليمن.

رجل 1 : ولماذا لا نكتفي أنا وأنت بمئتي دينار؟ هل ستكون حصتنا من القافلة أكثر من ذلك؟

رجل 3 : رحمتك الآلهة يا عروة. لم يعد أي صعلوك بعدك يفكر بالآخرين.

رجل 1 : فلنستشر هذا الصنم؟

رجل 3 : «يتناول حجراً» اختر. اليمين أم اليسار؟

«يتجهان نحو الصنم».

رجل 1 : اليمين.

«يجتمع الآخرون حولهما».

رجل 4 : ما الأمر؟

رجل 1 : مراهنة على مسألة شخصية.

رجل 3 : «يضرب الحجر على الصنم فتسقط إلى اليمين، يغضب، يبصق بعصبية ويتناول الحجر فيضرب بها الصنم» لو كنت جائعاً مثلنا لما تعففت عن مئتي بعير.

«بعضهم يضحك ـ يدخل بلال».

بلال : لقد انتصب سوق للنخاسة. آلا تذهبون للتفرج عليه؟

رجل : ولم لم تبق لتتفرج عليه أنت؟

بلال : أنا عبد أباع وأشرى. لا حاجة بي إلى فرجة كهذه.

رجل : ولم تريدنا أن نتفرج نحن؟

بلال : لكي تروا ما معنى آن يباع الإنسان.

رجل : لسنا عبيداً. ولايعنينا هذا الأمر في شيء.

بلال : أخشى أن تقودكم حاجتكم من أعناقكم.

رجل : لن يحدث هذا طالما أن معي سيفي.

رجل : واللات لن يتورعوا عن شيء.

بلال : «ينتبه إلى رجل يصلي للصنم» ماذا تفعل يا رجل؟

الرجل : أُصلي . .

بلال : لحجر لا ينفع ولا يضر ؟ أتعتقد أنه يسمعك أو يراك؟ متى تكبر عقولكم؟

الرجل : حين تصغر بطوننا.

بلال : وماعلاقة هذا الحجر التافه بطعامك؟

الرجل : أنت تهرف بما لا تعرف.

بلال : أنا؟

الرجل : نعم أنت. سبعة أطفال يتضورون جوعاً. لم أترك باباً إلا طرقته، حملت أطفالي وطفت على بيوتات مكة واستجدت بأشرافها. لم يستمع إلي أحد، لم يعد هناك من يسمع الآخر. الآذان كلها صماء مثل هذا الصنم، آذانهم لا تسمع إلا نداء القوافل والأسواق، لا أحد يمنحني لقمة أو عملاً، عالم غريب يا بلال، لم تعد هناك قبيلة أو عشيرة، التجارة حطمت قبائلنا وقيمنا وتركتنا خلعاء دون أن ندري. المال يقترب من المال والفقر يقترب من الفقر ولكي يحدث ذلك ترى بأم عينيك أن روابطك بأبناء عمومتك وبعشيرتك تتحطم. يمكن أن أموت الآن أو يموت أطفالي جوعاً على مرأى ومسمع منهم دون أن يتحرك أحد لنجدتي بلقمة. من يصدق أنني يمكن أن أموت جوعاً في مكة مركز التجارة والنخاسة والقوافل؟

بلال : أنا أصدقك، هذه التجارة التي تستشري من حولنا وما بيننا كالنار في الهشيم أتعرف أنني أراها كشمس الهاجرة ونحن كطمي الأنهار، تجفف الماء وتتركنا رمالاً ناعمة تذروها الرياح. يجب أن نبحث عن علاقات جديدة تجمعنا. تماماً كما قلت، الفقر يقترب من الفقر مثلما يقترب الغنى من الغنى، هذا هو الكلام

الصحيح الذي يهديك لحل مشاكلك وليس تعبدك لهذا الحجر التافه.

الرجل : أتظن أنني لا أعرف أنه حجر تافه؟ ولكن ماذا أفعل؟ قلوب البشر أغلقت دون صوتي، وأولادي يتضورون أمامي. ماذا يتبقى أمام الجائع إلا أن ينادي من سويداء قلبه:يا رب «يرفع صوته بدعاء حقيقي» يا رب، إنني أتوسل إليك من أجل أطفالي.

بلال : قلها كما تقولها الآن ولكن لا تقلها لهذا الحجر.

الرجل : سأقولها للحجارة والشجر والغيوم والنجوم، سأقولها لأي شيء. لا بد أن هناك ربا في مكان ما، عليه أن يسمع نداء الجائعين. يجب أن يكون هناك رب يسمعني ويطعم أطفالي. تعال أنت أطعم لي أطفالي وسأعبدك. أطعمهم لأعتبرك ربي ورب أطفالي.

بلال : «للآخرين» أتسمعون؟ أتسمعون ما قاله هذا الرجل؟ أتعرفون أنه من قبيلة كانت الصحراء ترتجف منها. لماذا تخلوا عنه؟ لماذا لم يعد زعماء العشائر يرونه ابن عمهم؟ «يشرح لهم» كانوا يدعمون القبائل لأنهم كانوا يسودونها ويستفيدون منها، التجارة جعلتهم يستغنون عن قبائلهم. إنهم الآن يلجؤون إلى أموالهم ويتركون هؤلاء في العراء، افتخروا بقبائلكم إذا شئتم. أما هم فقد صارت لهم قبيلة جديدة ضمت عناصر مختلفة من القبائل كلها. إنها قبيلة التجار والسادة والأغنياء. لم يعد هناك ما يعني لهم أي شيء سوى المال، حتى هذا الصنم - يريدونكم أن تقدسوه لأنهم يستفيدون منه،

يريدون أن تتسع السوق حوله. وأنتم لا قيمة لكم في هذه السوق. حتى زبائن للسوق لا تستطيعون أن تكونوا، ولكن غداً إن تهددهم خطر صاحوا بكم يا أبناء العمومة.

واحد : ماذا تريدنا أن نفعل؟

بلال : أن ينضم الفقراء في قبيلة جديدة.

واحد : إن أحدنا لا يملك ما يأكله بماذا سيعين الآخرين؟

بلال : بسيفه.

واحد : أين سنوجهه؟

بلال : حيث تستطيعون انتزاع اللقمة.

وحشي : «وهو يدخل» ماذا يفعل بلال هنا؟ هل تغني لهم أغنية جديدة؟

بلال : بل أحذرهم أن يصبحوا مثلك.

وحشي : أنا أحذرك أن تصبح مثل عمار بن ياسر «يجلس جانباً».

واحد : ما بال عمار؟

وحشي : لا أدري، أخذوه وعذبوه مع أمه وأبيه.

واحد : لماذا؟

واحد : من يدري؟ ربما اخطأ في حق واحد من السادة.

بلال : أنا أقول لكم.

واحد : ماذا ستقول من جديد يا بن رباح؟

بلال : إنهم يعذبون آل ياسر لأنهم أصبحوا من أتباع محمد.

واحد : أي محمد؟

بلال : الأمين. محمد بن عبد الله.

واحد : هل صار له أتباع؟

واحد : ولماذا يعذبون أتباعه؟

واحد : ربما لأنه ينافسهم في التجارة.

واحد : ولكن محمداً لا يملك الكثير. إن مرابحه التي جناها مع زوجته خديجة لا تكفيه للوقوف على قدميه.

واحد : لا تستغرب ومع ذلك تجار مكة يغارون ولا يريدون أن ينافسهم أحد.

بلال : لا يا قوم، ليس الأمر كما تتصورون.

واحد : وماذا يمكن أن يثير سادة مكة إلا هذا؟

بلال : إنه يؤلب فقراء مكة على سادتها.

واحد : ماذا تعني أيها العبد الحبشي؟

بلال : إنه يدعو إلى مساواة الناس وإشباع الفقراء والجياع.

«المجموعة تهتم لحديثه وتتحلق حوله».

واحد : هل ينوي تشكيل عصبة مثل عروة؟

واحد : وأنى له ذلك؟ إن محمداً ليس خليعاً ولا موتوراً.

بلال : لا، إن محمداً نبي.

الجميع : نبيّ؟

بلال : نعم، لقد خصه الله سبحانه وتعالى بالرسالة لينقذنا من ظلام الجهل والكفر.

واحد : أي كفر هذا الذي تعنيه؟

بلال : عبادة هذه الأوثان التي لا تغني وتسمن.

واحد : وماذا يضيرنا لو عبدنا هذه الأصنام أم لم نعبدها؟ كنت تتحدث منذ قليل عن الفقراء والجياع.

بلال : نعم. يقول محمد رسول الله: إن الناس متساوون كأسنان المشط. ويقول: إن الناس شركاء في ثلاث الماء والكلأ والنار. ويقول: ما يجهد الفقراء إذا جاعوا وعروا إلا بما يصنع أغنياؤهم.

واحد : كلام جميل.

بلال : بسم الله الرحمن الرحيم (ويل لكل همزة لمزة، الذي جمع مالاً وعدده، يحسب أن ماله أخلده).

واحد : أهو شعر؟

بلال : لا. إنه الوحي الذي ينزل على محمد.

وحشي : «من الطرف الآخر» وهل أنت من أتباع محمد؟

«الجميع يلتفتون إليه»

بلال : ويجب أن تكون أنت من أتباعه. هذا هو السبيل الذي سيوصلك إلى حريتك التي تبحث عنها.

وحشي : «يضحك ساخراً» حريتي من تجار قريش على يد تاجر من قريش؟

واحد : أي تاجر؟

وحشي : محمد، أليس محمد تاجراً؟

واحد : لكنه ليس مرابياً.

واحد : وليس غنياً مثلهم.

وحشي : كل تاجر يبحث عن الغنى.

واحد : ولكن كلامه معقول.

وحشي : العرب كلهم يتقنون الكلام البليغ المعقول. أنا لا أثق بهذا التاجر.

بلال : إنه محمد الأمين.

وحشي : إنه محمد بن عبد الله بن عبد المطلب، هل عرفت ماذا يعني ذلك؟ إنه ليس عبداً مثلنا حتى يحس بآلامنا، إنه تاجر يكره التجار الآخرين ويريد أن يكسبكم إلى جانبه. ألم يركم حتى الآن؟ لقد تجاوز عمره الأربعين وهو في مكة التي تجوعون فيها. لماذا لم يركم حتى الآن؟ أنا أقول لكم. لأنه كان يحاول أن يصبح تاجراً غنياً مثلهم. وحين فشل في التجارة بدأ يؤلب الناس عليهم.

بلال : هداك الله يا أخي. إنه لم يتلق الرسالة إلا بعد الأربعين.

وحشي : الرسالة؟ أية رسالة هذه؟

بلال : الرسالة من الله. الوحي. التكليف بالنبوة.

وحشي : أنا لا أفهم هذا الكلام.

بلال : لأنك لا تريد أن تفهم أبعد من حربتك.

وحشي : إن حربتي تصل إلى أبعد مما تتصور.

بلال : إن ما تراه على البعد إلا سراباً.

وحشي : سنتأكد الآن من منا يرى السراب ومن منا يرى الماء «ينادي بأعلى صوته أمية بشكل مفاجئ» يا أمية يا أمية يا أمية «يمسك بلالاً» عبدك بلال يدعو لتأييد محمد. «يسحبه خارج المسرح».

واحد : سيعذبون بلالاً كما عذبوا عماراً ووالديه.

واحد : «وهو يراقب خارج المسرح» إنه يسلمه إلى عبيد أمية.

واحد : أنا لا علاقة لي بهذا الكلام كله.

واحد : يبدو أن لك علاقة.

واحد : لماذا؟ إنه صراع بين التجار.

واحد : لا أظن أن لبلال قوافل تجارية، وكذلك عمار وياسر.

واحد : هذه هي المصيبة. دائما يتقاتل التجار والسادة ولكن نذهب نحن ضحايا.

واحد : طبعا، إنهم يحتاجون للأسلحة لكي يتقاتلوا ونحن الأسلحة.

واحد : وما العمل؟

واحد : أنا سأهجر مكة، بعد قليل يحتدم الصراع فتدوسنا الخيل ولا يميز السادة بين أتباع محمد وأتباع العزى. إنهم لا يوفرون أحداً، فمنذ قليل أهانوا محمداً هنا.

واحد : أوهذا حل؟

واحد : أشرد في الصحراء، أتربص بالقوافل، والمسافرين حتى أنتزع لقمتي منهم.

«يدخل وحشي».

واحد : وحشي.

وحشي : ما بك؟

واحد : تعال معنا.

وحشي : ومن أنتم؟

واحد : خلعاء العرب وصعاليكهم.

وحشي : «يبصق» تفوه. إنني لا أرى حلاً في اتباع السادة فكيف سأرى الحل بين هذه الأسمال.

واحد : لم تنفر منا يا رجل؟ تعال انضم إلينا كفاك عيشاً في هذه العبودية عند جبير.

وحشي : أتظنون أنني أحب عيشتي هذه؟ إنني أتحين الفرصة للانقضاض على حريتي كالصقر، لا أريد الهرب من

: عبوديتي بل أريد أن أقتنص حريتي. أنا لست خانعاً مثلكم.

واحد : أتسمنا خانعين؟ لو كنا كذلك لبقينا في قبائلنا ولما رأيتنا في بؤسنا هذا.

وحشي : أنتم خانعون في بؤسكم. تتجمعون حول الكعبة كما يتجمع الذباب على التمر.

واحد : نشتّم أخبار القوافل، فإن حانت لنا فرصة انقضضنا عليها كالذئاب.

وحشي : هذه حياة بلا أمجاد. أنا أريد حياة مجيدة.

واحد : دلنا على طريقك فلعلها إن أعجبتنا جعلتنا نتبعك.

وحشي : لا، أنا في غنى عنكم.

واحد : دعنا نتعلم منك على الأقل.

وحشي : الانتقام من العبودية لا يكون إلا بقتل سيد من هؤلاء السادة.

واحد : هل ستقتل جبيراً ؟

وحشي : خطر لي هذا في البدء ولكنني أريد سيداً أكثر أهمية. إن قريشاً هي التي أذلتني. ويجب أن أقتل رجلاً تتمثل فيه سيادة قريش لكي انتقم لعبوديتي فيها.

واحد : من؟

واحد : أبو سفيان، أم عتبة؟

واحد : أم أمية؟ «يفكر»أم أبو لهب؟

وحشي : يجب أن يكون واحداً من هؤلاء.

واحد : ماذا تنتظر؟

وحشي : أن يكون مقتله طريقاً لحريتي لا طريقاً لموتي.

واحد : انظروا. ها هو أبو عمارة.

واحد : الحمزة

الحمزة : «يقترب حاملاً قوسه» مرحباً أيها السادة.

واحد : أهلا بك يا بن عبد المطلب.

واحد : كيف كان صيدك يا أبا عمارة ؟

الحمزة : ليس كما ينبغي. فيم تجمعكم هنا؟

واحد : كنا نتحدث مع وحشي.

الحمزة : ماذا تفعل هنا يا وحشي؟

وحشي : أرقب سادة مكة لأتعلم منهم.

الحمزة : وهل كانوا هنا؟

واحد : بلى والله. ولو رأيت ما فعله أبو الحكم بابن أخيك محمد؟

الحمزة : ماذا فعل؟

واحد : وجده هنا جالساً فآذاه وسبه دون أن يرد عليه محمد.

الحمزة : «صارخاً بغضب» هكذا إذن؟ «ينادي» يا أبا الحكم يا أبا الحكم.

ابو جهل : «يظهر مع آخرين» ما بك يا أبا عمارة؟

الحمزة : فيم آذيت ابن أخي محمدا؟

ابو جهل : لقد سفّه آراءنا وشتم آلهتنا وأفسد علينا عبيدنا.

الحمزة : أم لعله أفسد عليكم تجارتكم؟

ابو جهل : وهل تتوقع أن نتسامح معه حين يفسد علينا تجارتنا.

ابو جهل : آذاك ثائراً يسبه...

الحمزة : والله لو كانت لديك بقية من عزة لما سمحت لهم بإهانة ابن أخيك يا أبا لهب؟

أبو لهب : لقد قلت لكم أن تأخذوا على يديه قبل أن يأخذ غيركم.

الحمزة : ولهذا تتركه لسفهاء العرب؟

أبو جهل : أتضعني بين سفهاء العرب يا أبا عمارة؟ والله ما كنا لنسمح لشاعر سفيه يدعي السحر مثله أن ينغص علينا حياتنا.

الحمزة : وتشتمه أيضاً؟ «يهجم عليه ويضربه بالقوس» فأنا على دينه أقول ما يقول. «الآخرون يمسكون بهما» فرد على ذلك إن استطعت.

أبو جهل : دعوا أبو عمارة.

أبو لهب : أتتبع محمداً يا حمزة؟

الحمزة : أنا أشهد أنه رسول الله. وأعلن أنه في حمايتي، وليقترب أحدكم منه بعد اليوم «يخرج».

أبو جهل : «يتلمس رأسه» لقد شجني.

أبو لهب : لا بأس عليك يا أبا الحكم. تعالوا نذهب إلى أبي سفيان لكي نرى رأينا. إن الحمزة يتبع محمداً وهذا يعقد الأمر كثيراً.

«يخرجون، المجموعة واجمة تراقب المشهد».

واحد : «لوحشي» كان السادة كلهم هنا، ألم تنتق واحداً منهم؟

وحشي : لقد أعجبني المشهد.

واحد : لقد أعلن الحمزة إسلامه وسيشتد أوار الصراع.

وحشي : ليس هذا ما أهتم له. أرأيتم ما أعذب قتال السادة؟

واحد : لم يشتد القتال بعد.

وحشي : سيشتد عما قريب وسيسفح السادة دماء السادة بدل أن يسفحوا دماء العبيد.

واحد : حين يشتد الصراع سيجند كل منهم عبيده ضد الآخر وستسيل دماء العبيد وحدهم.

وحشي : لا، هذه المرة ستسيل دماء السادة أولاً. ألم تروا بأعينكم؟

واحد : «باستخفاف» أهذا انتقامك؟ أن ترقب الاقتتال بين السادة؟

وحشي : لا. سأجد فريستي بينهم. أعز واحد فيهم.

واحد : لن تجد أعز من أبي سفيان.

وحشي : بل أعز منه من يتحدى سادة قريش جميعاً.

واحد : تعني محمداً ؟

وحشي : بل أعني الحمزة، هو أعز فتى في قريش.

واحد : لكنه أصبح الآن خصمهم. ستخدمهم بقتله.

وحشي : «ضارباً رمحه في الأرض» لولا أنه أصبح عدوهم.

واحد : لم يبق إذن إلا أبو سفيان.

وحشي : أنتم لا تفهمون، أنا لا أريد حريتي وحدها وإلا لهربت من خدمة جبير أنا أريد أن أقوم بعمل انتزع به حريتي منهم وأنال إعجاب أحصن حرائرهم.

واحد : «يغمز مبتسماً» فتقع في هواك وتدعوك إلى خبائها.

وحشي : سترون ما أنا فاعله حين تجيء فرصتي. أما الآن فإلى مزيد من التفكير بعد المزيد من الخمر. «يخرج.. اظلام يتخلله غناء وحشي»:

هـلا سـألت الخـيل يـا ابـنة مـالك

إن كـنـت جاهـلـة بمـا لم تعـلمي

«مع عـودة الإضـاءة يخفت صوت وحشي ويظهـر صوت بـلال يغني»:

كـان لـيـلاً حالـكـاً مـن حولـنا

وبسـيف الفقـر صـغناه ضـحى

واحد : هل تتذكر صوته؟

واحد : كان صوته جميلاً.

واحد : مسكين لقد تعذب كثيراً.

واحد : لكنه أحسن حظاً منا، لقد وجد من يشتريه ويعتقه.

واحد : ليته ظل بيننا. بعد أن هاجر بدأت أفتقده وأفتقد غناءه.

واحد : لا أدري ما الذي سحره بمحمد.

واحد : لا شك أن هناك سراً لا نعرفه.

واحد : كم أتمنى أن يخطئوه في هذه المعركة.

واحد : لن ينجو أحد من أتباع محمد، لقد تجرأ على قوافل أبي سفيان وهو ما لا يتساهل به.

واحد : إنها تصفية حسابات بينهم وبين محمد. والتجار يحبون أن تنتهي تصفية الحسابات إلى الأصفار. لن يتركوا ديناً ولا ثأراً.

الرجل : «يدخل من طرف المسرح حاملاً طفلة ملفوفة».

واحد : إلى أين يا أخا العرب؟

الرجل : فم يريد الطعام أريد أن أغلقه.

واحد : هل تنوي وأدها؟

واحد : ادع الآلهة ترسل لها رزقاً.

الرجل : قلوب الآلهة من حجر، إنها لا تسمع دعاء الجائعين.

واحد : دعها تكبر يا رجل ستجد لقمتها.

الرجل : في هذه الحياة الضارية لن تجد لقمتها إلا بشرفها.

واحد : تستطيع أن تسلحها بتربية ممتازة.

الرجل : كفاك هذراً يا رجل، الفقر لا يستطيع أن يربي، ستكبر وستجد ألف هاوية تسقط بها وتلوث شرفي.

صعصعة : «يخرج من الحانة» ما هذا الجمع؟

واحد : رجل يريد وأد ابنته.

صعصعة : من هو؟

«يدفعون إليه بالرجل».

صعصعة : لماذا تريد وأدها؟

الرجل : «ساخراً بمرارة» لا أعرف كيف أتصرف بالهدايا التي ستأتيني لو شاع خبر ولادتها، كما أني لا أعرف كيف أتصرف بمهرها حين تتزوج.

صعصعة : «ينظر إليها» أتبيعني إياها؟

الرجل : «يفاجأ».

واحد : هل أنت جاد يا صعصعة؟

صعصعة : ولم لا؟ «للرجل»ماذا قلت؟

الرجل : «محتاراً» أو تبيع العرب أبناءها؟

صعصعة : إنني أكفيك عمرها ولقمتها.

واحد : بكم ستشتريها؟

صعصعة : سأدفع له ناقتين.

واحد : لا ، هذا قليل.

صعصعة : أضيف إليها بعيراً.

واحد : إنك تشتري إنساناً يا رجل.

الرجل : «لواحد» وما دخلك أنت؟ «لصعصعة» لقد بعت.

صعصعة : خذهـا إلى عبـيدي، إنهـم غـربي مكـة، سـلمها لهـم وانتظرني «يخرج الرجل مسرعاً».

واحد : ماذا ستفعل بها؟

صعصعة : رأس مـال خفـي، ستكبر مع الآخرين دون أن أحس بها، وبغتة تراها كاعباً حسناء تتمتع بها أو تبيعها.

واحد : وما أخبار الحرب يا صعصعة؟

صعصعة : لا أدري، لقد التقوا عند بدر، وأظنها جولة وينتهي الأمر. سيعودون برأس محمد.

واحد : أأنت واثق من هذا؟

صعصعة : جـردوا إلـيه حملـة كـبيرة، لقـد تجـرأ علـى قوافـل أبـي سفيان.

واحد : ولماذا لم ترافقهم؟

صعصعة : هذه الحرب لا ناقة لي فيها ولا جمل، «يخرج»

واحد : طبعاً لا ناقة له فيها ولا جمل، لأن نوقه وجماله مشغولة بشراء الأطفال.

واحد : أنا لم أعرف هذا الرجل.

واحد : إنـه صعصعة بن نـاجية، لقـد اشـترى حتى الآن مـا يقرب من ثلاثمئة موؤودة تعالوا نخرج لسماع أخبار الحرب.

«صوت غناء بلال»

كـان لـيلاً حالكـاً مـن حولـنا

وبسـيف الفقـر صـغناه ضـحى

«يدخل بلال فتتجه المجموعة للترحيب به»

واحد : بلال! لقد عرفناك من صوتك.

واحد : أهلاً. أهلاً. أراك تحمل سيفاً.

واحد : تعال غننا ـ لم نسمع غناءك منذ زمن.

واحد : غننا عن الليل.

بلال : «بجدية» إلى متى تثبتكم همومكم كالإبل المعقولة.

واحد : أتريد أن تدعي أنك بلا هموم؟

بلال : «يشير إلى سيفه» بل إن لدي ما أجابه به همومي.

واحد : عدنا إلى وحشي وأحلامه.

بلال : لا، ليسـت أحلامـاً «للمجموعة» ألم تسـمعوا بموقعـة بدر؟ لقـد استطاع العبيد والفقراء بقيادة محمد رسول الله أن يهزموا سادة قريش ويقتلوا خيارهم.

«يندفع إليه الجميع».

واحد : صحيح؟

واحد : غير معقول

واحد : هل أنت جاد؟

واحد : هل كنت معهم؟

واحد : هل حاربت أنت أيضاً؟

واحد : دعونا نفهم

بلال : كـنـت معهـم وحاربـت «بـزهو» لقـد قتلـت بسـيفي هـذا احذروا من؟

الجميع : من؟

بلال : أمية.

الجميع : أمية؟

بلال : نعم ـ أمية ذاته.

واحد : أنت قتلته؟

بلال : طعنته بسيفي هذا، رأيته في المعركة فأغرت عليه صائحاً: هذا رأس الكفر لا نجوت إن نجا. وطعنته.

واحد : أحسنت، لقد ثأرت لعذابك.

بلال : بل ثأرت لعذابكم أنتم. كفاكم وقوفاً هنا لتندبوا حظكم وتشكوا طول لياليكم. تعالوا وقاتلوا لكي تجلوا صباحكم، اسمعوا، لقد نظمت بيتاً من الشعر سأغنيه منذ اليوم.

كان ليلاً حالكاً من حولنا

وبسيف الفقر صغناه ضحى

الحطيئة : «وهو يدخل» جميل.

بلال : الكلب الوفي لسادته، آكل فتات الموائد، الذليل القابل بذله.

الحطيئة : «يفاجأ» لا تظلمني أنت أيضاً يا بلال.

بلال : بل أنت الذي تظلم نفسك.

واحد : لا تكن قاسياً معه.

بلال : إن هذا وأمثاله هم الذين يتعاملون مع الظلم القائم ليثبتوا أركانه.

الحطيئة : أنا؟

بلال : أليس لديك الآن قصيدة جديدة تمتدح بها أميراً أو تاجراً؟ هيا قلها.

الحطيئة : إنني أبحث عن لقمتي ولقمة عيالي.

بلال : كلنا لدينا عيال لكن لدينا كرامة.

الحطيئة : «منفجراً» كرامة؟ أنا ليس لدي كرامة. أتعرف لماذا؟ لأنها لا تؤكل بالخبز. لأنها لا تحمي مليكه من آن ينهشها السادة.

بلال : دعهم إذن يمتطوك ويلقوا إليك بفتات موائدهم.

الحطيئة : ماذا تريدني أن أفعل؟

بلال : أن تحارب ذلك لا أن تحني رأسك له «للآخرين» اسمعوا أنتم. أنا لم آت هنا لكي أحكي لكم أخبار وقعة بدر. جئت أقول لكم أننا انتقلنا إلى القتال، وأن هذه المعركة معرككتكم جميعاً، ويجب أن تخوضوها بسيوفكم. هذه المعركة لا يستطيع أحد أن يخوضها نيابة عن الآخر.

واحد : إن ما تقوله صحيح ولكن هل نستطيع التغلب على سادة قريش؟

بلال : نحن تغلبنا عليهم، لقد خرقنا هيبتهم، قتل اليوم معظم السادة اسمعوا لقد قتلنا أمية وأبا جهل وشيبة بن ربيعة وعتبة بن ربيعة والوليد بن عتبة.

الحطيئة : هل أنت جاد فيما تقول؟

بلال : أنت تعرف أنني لست مهرجاً يمزح لإضحاكك «للآخرين» بعد قليل سوف تتحول مكة إلى مأتم «يتجه

للخروج» من منكم سيأتي معي؟ «يتجه إليه بعضهم» وأنت يا جرول.

الحطيئة : «منكسراً» يا بلال. أنت بحاجة إلى فرسان يقاتلون معك. وأنا لا أصلح لهذه المعارك.

بلال : تستطيع أن تجند شعرك ضدهم.

الحطيئة : إذا كنت تعتقد أنني يمكن أن أكون مفيداً فأنا مستعد.

بلال : هيا بنا ، «يخرجون».

«صرخة حادة من هند تدخل».

* * *

هند : ويلاه . . . «وتدخل ويدخل وراءها سادة قريش وفيهم أبو سفيان».

أبو سفيان : توقفي قليلاً. ما هكذا يا هند.

هند : «تقف أمام الكعبة»هنا نتحدث كما تريدون.

واحد : خففي عنك يا سيدتي.

هند : أنا أعرف كيف أخفف عن نفسي. ألصقوا أكبادكم على الكعبة.

أبو سفيان : لماذا؟.

هند : مازلت قادراً على النظر في وجهي؟ «بلهجة آمرة» ألصقوا أكبادكم على الكعبة. «يفعلون» ستقسمون جميعاً قسماً واحداً لقتال محمد الذي أفسد عليكم عبيدكم وقطع الطريق على تجارتكم.

واحد : وهل نحن في حاجة إلى هذا القسم؟ إن لي عنده ثأراً. لقد أصبح هناك دم.

ابو سفيان : «يسحبه وهو يغمزه» ستفعل ما تقوله هند.

هند : لن تذكرني بالدم. أخي وأبي وعمي قتلوا أمس. إن لكل منا ثأراً شخصياً ولنا جميعاً ثأر مشترك ، دعونا نتفق على الثأر المشترك ثم يسعى كل منا لثأره الشخصي.

«يلتفتون حول الجدار ويلصقون صدورهم عليه».

« تقول الجملة التالية بشكل مقطع يسمح للآخرين أن يرددوا وراءها كلماتها»:نحن أشراف العرب وتجارها نتعاهد أمام الكعبة على أن ينصر كل منا الآخر وأن لا يخذل واحد منا الآخر وعلى أن نكون يداً واحدة ضد محمد ما بقي منا رجل واحد.

«أثناء القسم يدخل وحشي فيقف بعيداً يرقب المشهد»

«هند تنهي القسم فتجلس مرتاحة تتنهد وكأنها قد قامت بجهد كبير، الآخرون يبتعدون عن الجدار»

واحد : تستطيعين يا سيدتي أن تتقي بنا وبسيوفنا.

واحد : ولا بد أن نثأر لك من الحمزة.

هند : الحمزة «تنهض وتدور كاللبوة» أخ واللات لئن مُكِّنت منه لأشربن الخمر في قحفته.

ابو سفيان : إن حولك فرساناً يستطيعون آن يثأروا لك يا هند.

هند : اهتموا بتجارتكم واثأروا لهزيمتكم ولا تقلقوا على ثأري.

ابو سفيان : فلنذهب إلى البيت لنتداول في الأمر ، ألا تأتين يا هند؟

هند : اسبقوني، سوف أتبعكم «يخرجون ويبقى وحشي».

هند : «وحدها تتحرك كالمطعونة ثم ترى وحشي فجأة» وحشي!

وحشي : هل سيدتي في حاجة إلي؟

هند : وحشي، ألم تر سيدك جبيراً؟

وحشي : لم آر غيرك يا سيدتي.

هند : لقد قتل الحمزة عمه. لا شك أنه سيحتاج إليك.

وحشي : المهم عندي إن كنت تحتاجين إلي أنت؟

هند : هل تعرف الحمزة؟

وحشي : أطمع منذ زمن أن أقوم بعمل كبير.

هند : هل تعرفه أم لا تعرفه؟

وحشي : كان العمل الكبير في ذهني أن اقتل رجلاً مثله.

هند : وماذا تنتظر؟

وحشي : أن تحتاج سيدتي إلى رأسه؟

هند : لقد وعد سيدك جبير أن يعتقك إن قتلته.

وحشي : وهل وعدت سيدتي هند أن تنظر في عيني إن جلبت لها رأسه؟

هند : سأضعك في قلبي ضماداً لجراحه.

وحشي : متى تريد سيدتي ذلك؟

هند : عندما ننتهي من إعداد العدة. سنتحرك إليهم عما قريب.

وحشي : ستجدينني في أول القوم «مستدركاً» أعني سأكون في المكان الذي تختارينه لي.

هند : ستكون حيث تطال روحه، وأنا أعتمد عليك كما أعتمد على أي سيد من سادات قريش «تخرج»

وحشي : «وحده يتجول منتشياً، يغرز حربته في الأرض ويقف أمامها» أنت يا حربتي، أنت يا حربتي، إنهم يحاربون من أجل ثأرهم وتجارتهم وأنا أحارب من أجلك أنت «يقف ويتمشى» هاهي فرصتك أخيراً يا وحشي «يحلم» وحشي. فارس الصحراء ملاذ الحرائر. وحشي كر وأنت حر، آه أيها العمر الطويل آه أيها الليل الطويل ها هو صاحبك أخيراً يبزغ من دم الحمزة.

صوت هند : «وهي تهزج»:

ويهاً بني عبد الدار　　ويهاً حماة الأديار
ضرباً بسيف بتار

غناء مجموعة نسائية:

نحن بنات طارق　　نمشي على النمارق
مشي القطا البوارق　　والمسك في المفارق

صوت هند :

إن تقبلوا نعانق　　أو تدبروا نفارق!

«يتكرر غناء هند لهذين البيتين».

«ينتزع وحشي حربته ويهدد بها الجمهور فتصدر من الظلام صرخة مروعة. هي صرخة قتيل أو صرخة مفجوع به. وحشي تخفت حوله الإضاءة بينما يتصاعد العويل والندب. صوت امرأة يعلو على الأصوات كلها في غناء فاجعي».

صوت غناء :

بكت عيني وحق لها بكاها
وما يغني البكاء ولا العويل

علــى أســـد الإلـــه غـــداة قـــالوا

أحمـــزة ذلـــك الـــرجل القتـــيل

«وحشي على المسرح وحيداً يتمدد مبتسماً وحربته تحت رأسه يشرب بين الحين والحين!»

هند : «تظهر أمامه»:

شـــفيت نفســـي قضـــيت نـــذري
شـــفيت وحشـــي غلـــيل صـــدري
فشـــكر وحشـــي علـــيّ عمـــري

وحشي : «يشرب منتشياً»

هند : وحشي. أنت الآن حر.

وحشي : «بفخر» حرية أخذتها بيميني.

هند : سلمت يمينك.

وحشي : اجلسي هنا، تعالي حدثيني الآن كما تحدثين رجلاً حراً.

هند : ماذا تريد؟.

وحشي : قولي لي: ماذا يقول سادة قريش عني؟.

هند : يقولون. يقولون. «تكذب» إن وحشي سر انتصارنا.

وحشي : هل أنت متأكدة؟ لماذا لا يتحدثون عن خالد بن الوليد الذي جلب لهم النصر؟.

هند : أنت كنت مفاجأة الحرب. لم يكن أحد يتوقع أنك ستقاتل وأنك ستقتل خيرة فرسانهم.

وحشي : «يضحك» أحسنت.. أحسنت.. ماذا يقول الآخرون؟.

هند : من؟ أتباع محمد؟.

وحشي : هل عرفوا أنني أنا الذي قتلته؟.

هند : طبعاً. إن اسمك الآن على كل شفة ولسان، حتى أن شاعرهم حسان بن ثابت قد قال فيك هجاء.

وحشي : سأجلب رأسه هو الآخر.

هند : لا، هذا ليس خصماً، لقد هجا أبا سفيان كثيراً.

وحشي : الشعراء التافهون لا يملكون إلا الشعر لهجاء السادة والأحرار.

هند : إنهم يهجونك الآن مثلما يهجون أبا سفيان.

وحشي : ويذكرون اسمي في الشعر؟

هند : طبعاً.

وحشي : أتحفظين شيئاً من أشعارهم.

هند : يقول حسان:

دع عـــنك داراً عفـــا رسمهـــا
وابـــك علـــى حمـــزة ذي الـــنائل
مـــال شـــهيداً بـــين أرمـــاحكم
شـــلت يـــدا وحشـــي مـــن قـــاتل

وحشي : «يقهقه منتشياً وهو يشرب» عظيم عظيم «يمد يده إليها» تعالي واقتربي مني جيداً.

هند : «تنفر منه».

وحشي : ما بك؟

هند : «كالنمرة» ابق مكانك.

وحشي : «يفاجأ» - تعالي إلى وحشي، امكثي قربي ودعيني أحس بحريتي. «يمد يده نحوها».

هند : «تضرب يده» أبعد يدك القذرة عني أيها العبد الخسيس.

وحشي : «ينهض» عبد؟

هند : أتظن أنك بنيلك حريتك ستباح لك نساء العرب؟

وحشي : هل قلت أنني عبد؟

هند : أنت عبد طبعاً.

وحشي : ولكنني حر، تحررت بحريتي وبدماء الحمزة.

هند : تحررت من جبير «باحتقار» ولكنك ما تزال وحشي. العبد وحشي.

وحشي : آه لو أن غيرك قالها.

هند : لا ترفع رأسك نحو الشمس يا وحشي، فتعمي عينيك.

وحشي : إنها تنير قلبي.

هند : ستظل وحشي.

وحشي : «بعظمة مبالغ فيها»لقد أصبحت وحشي.

هند : لا تغرق في الأوهام يا وحشي، أنا أشفق عليك ولكن احذر من أوهامك «تخرج».

وحشي : «وحده» تشفق علي؟ عبد؟ قالت إنني عبد، ما معنى حريتي إذن؟ أيتها الحقيرة الفاجرة، ستعرفين من أنا؟ «يشرب ثم يحطم الدورق الذي يشرب منه ويخرج حاملاً حريته».

* * *

«حانة فقيرة الحطيئة سكران، بعض الجلساء يشربون معه. لكنه حزين مسترسل في رواية قصته»

الحطيئة : ونشأت مع ولدي أوس كأنني أحدهما لكن الجميع كانوا يرونني ابناً للأفقم. ولم تكن الضراء أمي تجرؤ على قول الحقيقة. حتى مات أوس وأعتقتنا زوجته . .

وعندها قالت أمي أنني ابن أوس ولست ابن الأفقم. «يبصق» السفلة . . لم يستنكروا أن يكون أبوهم قد استولدني من إحدى جواريه ولكنهم أصبحوا كالعقارب حين طالبت ببعض الإرث.

واحد : قل لنا كي هجوتهما.

الحطيئة : بدل أن يمنحاني شيئاً من الإرث أرادا أن يستعبداني من جديد. وطلبا إلي أن أقيم معهما فرفضت طبعاً.

أأمرتماني أن أقيم عليكما

كلا لعمر أبيكما الحباق

ومات الأفقم فرفض أبناؤه أيضاً منحي أي شيء.

واحد : وأمك ماذا فعلت؟

الحطيئة : أمي لم تكن تملك ثروة إلا جسدها فانتفعت به «يضحكون» تزوجت رجلاً آخر من عبس كان ضائع النسب هو الآخر.

واحد : قصة طريفة والله.

واحد : ألهذا كنت تهجوها؟

الحطيئة : لأنها سر عذابي كله.

تقول لي الضراء لست لواحد

ولا اثنين فانظر شرك أولئكا

وأنت امرؤ تبغي أباً قد ضللته

هبلت، ألما تستفق من ضلالكا

«يضحكون. ينهض فيتمشى وكأسه في يده، حقد وشراسة في وجهه. يسترسل وكأن أمه أمامه»

تــنحي فاجلســي عــني بعــيداً
أراح الله مـــــنك العالميـــــنا
حــياتك مـــا علمــت حــياة ســوء
وموتــك قــد يســر الصــالحينا
جــزاك الله شــراً مــن عجــوز
ولقـــاك العقـــوق مـــن البنيـــنا

«يجلس منهاراً وهو على وشك البكاء».

واحد : دعوه وشأنه.

واحد : والله إن حديثه ظريف.

واحد : ألديكم أخبار عن محمد؟

واحد : الأخبار كثيرة، كل يوم غزوة وحرب. لم أفهم ماذا يريد هذا الرجل؟

واحد : لقد نجح أخيراً.

واحد : تصوروا أن قريشاً استفزت القبائل كلها مع يهود يثرب للجولة القادمة.

واحد : إن رجاله يحبونه كثيراً.

واحد : ما السبب يا ترى؟

واحد : لا أدري.

واحد : أنا أدري. لقد ذهبت منذ فترة إلى يثرب. إنه يقاسمهم كل شيء. أتذكرون بلالاً؟ لقد اشتراه أبو بكر من سيده أمية وأعتقه. إنه الآن يعيش مثله. بلال مثل أبي بكر.

واحد : يحق لبلال إذن أن يتفانى في الدفاع عن محمد.

واحد : ولكن ماذا يريد محمد؟

واحد : أشياء لا أعرفها جيداً عن العبادة. تذكرون كم حرض أتباعه ضد الأصنام.

واحد : أمن أجل هذا يقاومه سادة قريش؟

واحد : من أجل الأصنام؟ اعقل يا رجل. ماذا تعني هذه الأصنام لسادة قريش أكثر من فتح الأسواق حولها؟

واحد : وهذا سبب معقول.

واحد : لا يا عزيزي. إن محمداً قد أوشك على السيطرة على طريق التجارة إلى الشام.. ولذا فإن تجار قريش يرتعدون.

وحشي : «يدخل ويطلب دورقاً للشراب. يحمله ويشرب منه».

الحطيئة : «يرفع رأسه ويراه» وحشي.

وحشي : «يقترب من الحطيئة» جرول. ألن تشرب معي؟

الحطيئة : لا.

وحشي : نخب حريتي؟ إنك لم تهنئني منذ أن أعتقت.

الحطيئة : أمن أجل هذا الذي أنت فيه قتلت رجلاً؟ ألم تجد سبباً أفضل؟

وحشي : أفضل من الحرية؟ جرول. ما هذا الكلام؟ أكنت تريدني أن أظل عبداً؟

الحطيئة : اجلس أيها الغبي. اجلس.

وحشي : «يجلس».

الحطيئة : هل هناك من يملكني؟

وحشي : لا.

الحطيئة : ومع ذلك فأنا أتعس عبد في بلاد العرب كلها.

وحشي : «يريد أن يتكلم» ولكن.

الحطيئة : لا تقاطعني، لقد قتلت رجلاً لكي تصبح مثلي.

وحشي : أبداً. كنت أريد أن أصبح حراً.

الحطيئة : ها أنت الآن حر في أن تموت جوعاً. هذه هي حريتك الوحيدة الآن. لقد تحررت من سيادة جبير عليك فوقعت تحت سيادة الناس كلهم. إن ابن أية قبيلة أو عائلة يستطيع أن يبصق في وجهك. فماذا تفعل؟

وحشي : ماذا أفعل؟ آقتله.

الحطيئة : فيطلبك رجال قبيلته كلهم.

وحشي : ولكن لماذا يبصق في وجهي؟

الحطيئة : لأنك أسود. ولأنك فقير. ولأنك ستذل نفسك كل يوم لكي تجد عملاً يؤمن لك اللقمة. هذه هي حريتك التي سعيت إليها.

وحشي : «باعتداد» صحيح أني سعيت إليها. ولكن سادة قريش هم الذين كانوا يحتاجونني.

الحطيئة : «ساخراً» فدلوك على الطريق إلى حريتك. «بجدية» يا عزيزي. السادة لا يدلونك إلا إلى طريق تزداد به عبودية، متى كنت تثق بهم؟

وحشي : أنا لم آثق بهم أبداً لكنني كنت أريد الخلاص منهم.

الحطيئة : لماذا؟

وحشي : لأنني أكرههم. ولأنني أحب نفسي.

الحطيئة : كذاب.

وحشي : أنا؟

الحطيئة : لو كنت تكرههم لسعيت إلى قتالهم، كنت فعلت مثل عروة.

وحشي : «ضاحكاً بمكابرة» أنت تنصحني بهذا؟
أنا أعرف لماذا تقول هذا الكلام. أنت عاجز ولذلك تحب أن ترى الآخرين يفعلون ما تعجز عنه أنت. إنك مثل الخصي الذي يريد أن يتفرج على متع الآخرين.

الحطيئة : ربما. ربما. أنا لا أنكر هذا. ولم أقل يوماً أنني أطلب حريتي بسيفي. ولكنك قلت ذلك.

وحشي : وها أنا قد نلت حريتي.

الحطيئة : لا يا عزيزي. أنت لم تنل حريتك لأنك لم تطلبها.

وحشي : لقد جن الرجل. ما الذي كنت أفعله إذن؟

الحطيئة : كنت تخبط كالأعمى. أنت لم تكره السادة بل أردت أن تكون سيداً. ولذا فقد كرهت العبد الكامن فيك. أنت تكره عبوديتك ولا تكره مستعبديك.

وحشي : إنني لا أفهمك اليوم.

الحطيئة : إنك قد كرهت الفقر ولذلك صرت تكره الفقراء. كرهت عبوديتك فصرت تكره العبيد. إنك تكرهنا نحن. تكرهني أنا وتكره أمي.

وحشي : وأنت؟ ما الذي فعلته؟ سأتركك تحب نفسك وتحب أمك حتى تظل ممسحة بين أقدامهم. أنا أكرهك فعلاً. لأنك بخنوعك تثبت سيادتهم.

الحطيئة : «ببرود» وأنت؟

وحشي : أنا أزاحمها.

الحطيئة : يا مسكين. لقد فقدت كل شيء. كنت فيما مضى تحلم بحريتك أما الآن فلم يعد لديك حتى الحلم «ينهض مبتعداً عنه».

وحشي : إلى أين؟

الحطيئة : «مشيراً إلى الآخرين» سأنضم إلى الذين تكرههم.

وحشي : أكمل حديثك.

الحطيئة : أكمله أنت. حدث هؤلاء التعساء كم أنت متضايق من وجودك بينهم. حدثهم كم تتمنى لو انك جالس مع علية القوم بدلاً من جلوسك مع هذه القمامة. «يجلس مع الآخرين الذين يفسحون له ويسكبون له شراباً».

وحشي : «يتحدث بصوت مرتفع. يوجه كلامه للآخرين دون أن ينتظر منهم المبادلة بالحديث إنه شبه سكران بتأثير الخمرة وبتأثير انفعاله من كلام الحطيئة» تصوروا يا ناس، يعيب علي أن أطمح. يريدني أن أظل مثله، إنه يحسدني، هذا اللقيط القميء. «يشرب» كذاب. كذاب. لا تصدقوه. أنا أحبكم جميعاً. جميعاً. وأكره أولئك السادة. «يهدأ» صحيح أنني أتمنى أن أكون بين السادة ولكنني لا أحبهم. أريد أن يعترفوا بي إنساناً «لنفسه» أريد أن أرى عيونهم تخترق سواد وجهي لترى تحته إنساناً. نعم. أنا إنسان. إنسان. إنسان مثلهم. لو أتيحت لي الفرصة لكنت أشجع منهم. لو كان معي المال لكنت أكرم منهم. لولا احتقارهم للوني لأغويت خيرة نسائهم «يفرض نفسه على مائدة الحطيئة»

اسمعني يا جرول ربما كنت على حق. ولكنني لست منحطاً إلى هذا الحد. يجب أن لا ترفضني. ربما نجحوا في تحويل أحلامي. ربما غيروا مطامحي . . ولكنهم لم ينتزعوا أحقادي بعد. قسماً. قسماً.

«يدخل أبو سفيان مع بعض السادة وهم يتضاحكون يتجهون إلى جانب خال فكأنه مخصص لهم. الخدم ينصرفون للعناية بهم».

سيد : أين الخمرة؟

نادل : حاضرة يا سيدي.

سيد : عجل بها إذن.

سيد : والراقصات؟ أنرى الليلة رقصاً.

نادل : سترون كل ما تحبونه يا سيدي.

«الخمرة توضع . . يسكبون ويشربون»

سيد : «لأبي سفيان» هذا نخب نجاحك الهائل اليوم.

أبو سفيان : «يضحك مغتبطاً» لقد ظن انه بتجميع بعض الرعاع يستطيع أن يزعزعنا.

سيد : هذه المرة ستكون الأخيرة.

أبو سفيان : أتعتقد أن يهود يثرب سيحافظون على وعودهم؟

سيد : المسألة ليست مسألة المحافظة على الوعد. إنهم متضايقون من وجودهم بينهم أكثر من ضيقنا.

أبو سفيان : يجب أن تكون هذه آخر جولاتنا معه. إنه يطمح إلى السيطرة على طريق التجارة إلى الشام.

سيد : هل جئنا هنا لنتحدث عن محمد؟

سيد : بل جئنا نشرب نخب خلاصنا منه.

أبو سفيان : «يرى الحطيئة» جرول هنا. كيف قلتم أنه أسلم؟ ناده ياغلام.

«نادل يذهب إلى الحطيئة ويهمس له. يتجه الحطيئة إلى مجلس السادة».

أبو سفيان : أهلاً أبا مليكة. تعال إلى جانبي. لقد وشى بك بعضهم وقالوا إنك اتبعت محمداً.

الحطيئة : لقد اتبعته فترة من الزمن. ثم لم يعجبني الجو هناك فتركته.

أبو سفيان : لماذا تركته؟

الحطيئة : لأنني اضطررت للكذب. «ضحك صاخب من الجميع».

واحد : أهذه هي المرة الأولى التي تكذب فيها؟

الحطيئة : أنا أحتمل كل شيء إلا أن أكذب في شعري وهم أجبروني على هذا الكذب في الشعر ، تصور أن الحطيئة يضطر إلى قول:

ولست أرى السعادة جمع مال
ولكن التقيَّ هو السعيد

أبو سفيان : ألهذا السبب تركت محمداً؟

الحطيئة : أنت لا تدري يا سيدي كم يصعب على الشاعر أن يقول ما لا يؤمن به.

واحد : ولكن أعذب الشعر أكذبه. أليس مديحك للآخرين كذباً؟

الحطيئة : هذا كذب الرغبة يا سيدي. حين أرغب في مالك أراك العالم كله فأقول إنك العالم كله، وحين تصد عني مالك أراك عقرباً أو أفعى، أراك بصدق هكذا.

وأكرهك بصدق فأهجوك، أما محمد فلا يريدني أن أقول المديح ولا الهجاء.

أبو سفيان : مالنا ولمحمد الآن، هات قل لنا شعراً. أيها السادة سنشرب الآن نخب الحطيئة ونقضي بقية سهرتنا شعراً «يشربون».

واحد : من تعتقد أنه أشعر العرب يا أبا مليكة؟

الحطيئة : أبو داؤود الأياوي ثم عبيد بن الأبرص ثم أنا.

واحد : أنت؟

الحطيئة : والله لحسبك بي عند رغبة أو رهبة إذا رفعت إحدى رجلي على الأخرى ثم عويت إثر القوافي عواء الفصيل الصادي. «ضحك».

أبو سفيان : هات إذن أسمعنا شعراً تحبه.

الحطيئة وآثرت إدلاجي على ليل حرة
هضيم الحشا حسانة المتجرد
وتضحي غضيض الطرف دوني كأنما
تضمن عينيها قذى غير مفسد
إذا ارتفقت فوق الفراش تخالها
تخاف انبتات الخصر ما لم تشدد
إذا شئت بعد النوم ألقيت ساعدي
على كفل ريان لم يتخدد
تضوع رياها إذا جئت طارقاً
كريح الخزامى في نبات الخلا الندى

فــلما رأت مــن في الــرجال تعرضــت

حــياء وصــدت تــتقي القــوم بالــيد

«صرخات استحسان»

أبو سفيان : ولك غراميات أيضاً؟ من هذه المرأة يا جرول؟

الحطيئة : إنها المرأة ذاتها التي أقول فيها:

أطــوّف مــا أطــوّف ثــم آوي

إلى بيــت قعــيدته لكــاع

أبو سفيان : فهي زوجتك إذن؟

الحطيئة : بلى والله.

أبو سفيان : أهي لكاع حقاً أم هضيمة الحشا؟

الحطيئة : والله لو رأيتها ما شربت الماء من يدها. «ضحك».

أبو سفيان : ولم هجوتها؟

الحطيئة : والله لم أترك شخصاً يمت لي بصلة إلا قلت فيه هجاء، لقد هجوت زوجتي وأولادي وأمي وأخوتي وجيراني وضيوفي وحتى نفسي.

واحد : والله إن أجمل ما قاله في الهجاء هو هجاؤه لضيوفه.

واحد : بل لأمه، ألا يعجبك قوله:

أغــربالاً إذا اســتودعت ســراً

وكانونــاً علــى المــتحدثين

واحد : ولكن هجاءه لضيفه أظرف:

وســلم مــرتين فقلــت مهــلاً

كفــتك المــرة الأولى الســلاما

أبو سفيان : اهدؤوا قليلاً، سنعرف الآن لم لقبوه بالحطيئة؟

«ضحك واستحسان».

الحطيئة : لقد سبق وحكيت لك يا سيدي.

أبو سفيان : لا بأس من إعادة الحديث اللطيف على مسامع هؤلاء السادة.

الحطيئة : لقد لقبوني بالحطيئة لانحطاط شأني وقيمتي.

أبو سفيان : لا. لا. السبب الآخر.

الحطيئة : مرة كنت جالساً مع سادة أشراف مثلكم، ولشدة ما ارتبكت في حضورهم رحت أتململ في جلستي مما جعلني دون أن أتمكن من ضبط نفسي أخرج ريحاً «ضحك صاخب.. ينتظر انتهاء الضحك» وحين سألني أحدهم: ما هذا يا جرول؟ قلت له: حطأة يا سيدي. فأجابني:

والله ليست حطأة فأنت كلك لست إلا حطيئة «ضحك»

ولقد أعجبني هذا اللقب. «ضحك».

وحشي : «يتقدم منهم وحربته في يده يتناول كرسياً يتجه به من مقاعد العامة إلى مقاعد السادة، يصمت الجميع».

أبو سفيان : إلى أين تتجه أيها العبد؟

وحشي : أنا لست عبداً. لقد نلت حريتي.

أبو سفيان : اترك هذا الكرسي وعد إلى مكانك بين هؤلاء.

وحشي : أنا حر، ولذا فأنا حر في أن أجلس حيث أشاء.

خادم : هذا مكان السادة.

وحشي : «صارخاً» وأنا سيد.

واحد : وأية قبيلة تسود؟

وحشي : أنا أسود نفسي.

خادم : إنهم لا يريدونك بينهم.

وحشي : أنا لست قادماً لأنادمهم مثل هذا الكلب. أنا آتي لأجلس حيث أشاء.

أبو سفيان : تهين جليسي أيها العبد.

وحشي : أنا لست عبداً، أتسمع؟ أنا حر.

واحد : «يحاول أن يمتشق سيفه. وحشي يهدد بالحربة وهو يترنح، أبو سفيان يمسك صاحب السيف ويمنعه».

أبو سفيان : «بحزم» يا غلام. أخرج هذا العبد من هنا.

وحشي : لا أحد يستطيع إخراجي «الخدم يهجمون على وحشي، يمسكون به ويسحبونه وهو يصرخ» أنا حر. أنا لا أنتمي لأسركم ولا لقوافلكم. أنا لا أنتمي إلا لحربتي هذه. هي التي حررتني. وهي التي تجلسني حيث أشاء. «يلقون به خارجاً».

أبو سفيان : «بهدوء» نعود إلى حديثنا.

إطفاء

النخاس : «يعرض جارية» جارية من بلاد الهند، تتقن الطبخ والغسيل وتتقن العزف والغناء، خدمت في بلاط كسرى، انظروا إلى هذا الجسد الرائع انظروا إلى هذا الصدر العامر إلى هذين الفخذين كعمودي رخام.

واحد : علي بعشرين دينار.

واحد : خمس وعشرون.

النخاس : أيها السادة إنكم تهينون الجمال بهذه الأسعار

واحد : علي بمئة دينار.

النخاس : مئة دينار . . من يزيد؟

واحد : مئة وعشرون ديناراً.

النخاس : مئة وعشرون.

واحد : مئة وخمسون ديناراً.

النخاس : مئة وخمسون.

واحد : مائتا دينار.

النخاس : مائتا دينار.

واحد : ثلاثمئة.

«يدخل وحشي ومعه حربته ودن خمر. يشرب ويرقب المشهد دون أن يتدخل».

النخاس : ثلاثمئة.

واحد : أربعمئة.

النخاس : أربعمئة دينار من يزيد؟ لا أحد يزيد؟ مبارك عليك «الجارية تنزل إلى الشاري ويذهبان معاً».

النخاس : «يقدم عبداً شبه عار والقيود في يديه ورجليه».

عبد حبشي. قوي البنية يتقن القتال بالسيف والرمح والحربة والقوس، هادئ الطباع قليل الطعام والكلام، يصلح للخدمات المنزلية وللعمل في الحقول كما يصلح لحراسة القوافل، أسنانه سليمة عيناه سليمتان عضلاته مفتولة، من يبدأ المزاد؟

واحد : علي بخمسين دينار.

واحد : ستون ديناراً.

واحد : بمئة.

النخاس : مئة بدأ المزاد بمئة من يزيد؟

واحد : مئة وعشرون.

واحد : مئة وخمسون.

النخاس : مئة وخمسون ديناراً.

واحد : مئة وثمانون.

واحد : مئتان.

النخاس : مئتان . . مئتان. من يزيد؟ «لا أحد يزيد» حرام عليكم أيها السادة إنكم لم تدفعوا ثمن كلفته، من يزيد؟ سامحتكم الآلهة، مبارك عليك يا سيد «السيد يتقدم ويشد العبد من القيد المربوط برقبته».

النخاس : «يترك منصته ويخرج، بعض المتفرجين يتفرقون».

وحشي : «سكران يتجه إلى المنصة صائحاً» لا تنفضوا أيها القوم. لم تزل السوق قائمة «بصوت إعلاني» عبد قوي «يشير إلى نفسه ويستعرضها» عبد يتقن القتال والسكر، يملك نفسه ولا يملك لقمته، أعتقه سيده لشجاعته ولم تعتقه القبائل والأسواق. طلب حريته وظل وحيداً يحتاج إلى من يشتري قلبه، من يبدأ المزاد؟ ؟

«يزداد حزناً بينما الضحك يتزايد من حوله».

قلب إنسان قلب يحب ويكره «الضحك يتزايد» هو ذا رجل يبدأ المزاد بضحكته من يزيد؟

واحد : انزل أيها العبد الخسيس ثكلتك أمك.

وحشي : هذا يزيد بشتيمة، من يزيد عليه؟ «ينفضون عنه ضاحكين». لا تنصرفوا عني «ينادي بأعلى صوته» جبير، يا جبير بن مطعم. تعال إلى عبدك القديم، لقد قتلت لك الحمزة عم

محمد بعمك طعيمة بن عدي في أحد، لقد وعدتني أن تعتقني، تعال واعتقني من عذابي أيها التاجر المخادع، تعال أيها الكلب. تعال.

«تدخل هند»

وحشي : هند، تعالي يا سيدتي واشتريني.

هند : وحشي ماذا تفعل؟

وحشي : أبيع نفسي.

هند : لا رغبة لي في الشراء.

وحشي : أنت لا تحتاجين إلى شرائي أنت تملكينني دون شراء، أنا قد وهبتك نفسي منذ أن تحمست لقتل الحمزة ثأراً لقتلاك «تبتعد عنه» سيدتي أرجوك أنا أحتاج إلى نظرة عطف منك. نظرة تعترف بي إنساناً، اسمعيني أرجوك أريد أن أعترف لك، لم أقتل الحمزة ثأراً لعم جبير ولا ثأراً لأقربائك، قتلته وأنا أحلم أنك ذات يوم ستنظرين إليّ فأرى في عينيك إلفة من يعترف بي إنساناً.

هند : «ساخرة» من يسمعك يحسب أنك عاشق.

وحشي : ليته كان عشقاً، أنا أكرهك كما أكره أبا سفيان، وأحبك كما أحب حريتي، أنت كالخمرة التي تؤلمني وتبعث في النشوة، أنت فرحي في السكر وتقيؤي بعد انتهاء السكرة.

هند : وحشي اسمع أيها الصعلوك. تعال إلى بيتنا، إننا لم ننته من أمر محمد بعد، إن حانت لك فرصة في معركة مقبلة قتلته. وهذه المرة سأزودك بأموال للتجارة تجعل لك مكانة بين الناس.

وحشي : القتل مرة أخرى؟ لا، يكفي أنني قتلت الحمزة، أنا لم أعد أريد أن أقتل آخرين أريد شيئاً لا أفهمه ولا أستطيع تحديده. أريد حريتي في أن أقتل من أشاء وأقاتل من أشاء. لا أريد أن أقتل لكم.

هند : تعال إلى بيتنا هناك ستجد الهدوء لكي تفكر جيداً في ما تريده.

وحشي : لا. هناك سجني، سجني الذي يغريني بحبه. أأعترف لك؟ إنني منذ أن نلت حريتي وأنا أذهب كل يوم حتى باب بيتك، أسند رأسي عليه وأنام وقد هدني السكر، إنك تظهرين لي بين خموري وأحزاني فأذهب حتى أصل إلى الباب، وهناك تظهرين لي وراء قضبان، أحس إحساس العصفور الذي يرى القفص وفي داخله الطعام، هو جائع مدفوع إلى قلب القفص لكنه يخاف لأنه يعرف أن الباب سيطبق عليه.

هند : «بإغراء» سيطبق عليك الباب وتبقى مع الطعم الجميل، وحدكما، بلا رقيب.

وحشي : «يفقد صوابه إذ يفهم إشارتها» هل أنت جادة؟

هند : طبعاً، أنا أعرف أنك تحبني منذ زمن، أنت تحلم بعنترة ولذلك فأنت تحتاج إلى عبلة.

وحشي : الأمر مختلف يا سيدتي، أنا أحتاج إليك، وربما كنت أحبك لمجرد أنك شيء يملكه السيد الكبير أبو سفيان، أريد أن أملك الشيء الذي يملكه السادة، أنت مثلاً، إنني أبيع عمري كله لقاء . . .

هند : «تضع يدها على فمه» لا تكمل. يجب أن لا تفسد الأشياء بالإفصاح عنها، يجب أن لا نحددها بالكلمات.

وحشي : «يقبل يدها» ها أنت أخيراً تعاملينني كإنسان.

هند : أنا لم أرك إلا إنساناً.

وحشي : «فرحاً ومنسجماً يقترب منها حتى يلاصقها»

أنت ستكونين وسيلتي في الانتقام منهم سأطعن شرفهم الذي يعتزون به، هذا هو انتقامي.

هند : هل ستأتي إلى البيت؟

وحشي : لا أدري.

هند : فكر في الأمر.

«يدخل أبو سفيان فيراهما متقاربين، يصرخ محتداً، ويمتشق سيفه»

أبو سفيان : هند؟! ما هذا؟!

«وحشي يفاجأ يبتعد عن هند وهو يمسك بحربته متحفزاً. هند تسيطر على أعصابها بسرعة».

هند : أبا سفيان.

أبو سفيان : مع هذا العبد الخسيس يا بنت عتبة!

وحشي : «متهيأ للطعن» لا تعد كلمة العبد على لسانك وإلا . .

أبو سفيان : صرت تهددني أيها الكلب؟

هند : أبا سفيان. هل فقدت عقلك؟ «لوحشي» وحشي دع هذه الحربة من يدك.

أبو سفيان : وكيف تريدنني أن لا أفقد عقلي أيتها الحقيرة؟

هند : «لوحشي» وحشي، دعنا وحدنا.

وحشي : «يقف متردداً» ولكن قد يؤذيك.

هند : «تنهره بحدة» قلت لك دعنا وحدنا.

«وحشي يخرج»

هند : أبا سفيان اترك من يدك هذه اللعبة ودعنا نتفاهم.

أبو سفيان : وكيف نتفاهم أيتها الأفعى؟.

هند : هل أعماك غضبك يا أبا سفيان، أتصدق أنني يمكن أن أخونك ومع عبد حقير كهذا.

أبو سفيان : لولا أنني رأيتك بعيني لما صدقت!.

هند : وماذا رأيت بعينك؟.

أبو سفيان : رأيتك هنا تتبسطين معه وهو يقبل يدك.

هند : وماذا يعني لك هذا؟.

أبو سفيان : ألا تعرفين ما يعني لي هذا؟ «يقترب منها مهدداً»

هند : «وهي واقفة بتحد، لا ترتجف ولا تتردد».

أنت أحمق يا أبا سفيان.

أبو سفيان : أحمق؟

هند : طبعاً أحمق، أنت لا ترى أبعد من أنفك.

أبو سفيان : إنني أرى جيداً كيف تلوثين شرفي.

هند : إنني أعمل لإنقاذ شرفك أيها الغبي.

أبو سفيان : تنقذين شرفي بالتبسط مع هذا العبد؟

هند : «غاضبة» إنك تهينني إذ تتصور أنني أحتمل أن يدنسني هذا العبد. إنني أفكر بشرفك الذي مرغه محمد. هل فهمت الآن؟ وهذا العبد هو وحشي الذي قتل الحمزة.

أبو سفيان : ألم تنته منه؟

هند : لا

ابو سفيان : ماذا تريدين منه؟

هند : أريد منه أشياء كثيرة، نحن في حاجة إلى رجل مثل وحشي.

ابو سفيان : ما الذي يميزه عن غيره من العبيد؟

هند : حقده الأسود. نحن في حاجة إلى أحقاده.

ابو سفيان : وتلوثين شرفك من أجل أحقاده؟

هند : «بهدوء» إنني أمسك بالحبل المربوط إلى عنقه وهو بمقدار ما يطمح إلى الإفلات منه يظل مطمئناً إلى أن طرف الحبل يوصل إلي.

ابو سفيان : ها أنت تعترفين أنه يحبك ويشتهيك.

هند : طبعاً، ولهذا يسهل قياده.

ابو سفيان : ولكن قد يكون هذا خطراً عليك.

هند : «تضحك» لا تخف إنني أعرف كيف أتصرف.

ابو سفيان : قد لا ينفعك ذلك إذا ذابت أحقاده الكبيرة في رغباته فاقتحم عليك بابك.

هند : عندها سيخترق كبده خنجري هذا «تسحب خنجراً مخفياً بين ثيابها» الذي كان سيخرق كبدك لو حاولت إيذائي.

* * *

«مجموعة من الناس مضطربة على المسرح. بعضهم ينظر إلى البعيد بعضهم يتوشوشون هند بينهم تحاول تهدئتهم»

هند : هدوءاً. قليلاً من الهدوء يا قوم. أهكذا تتهيؤون لملاقاته؟

واحد : نحن؟ نحن يا سيدتي؟ كيف تريديننا أن نتهيأ لملاقاته إذا كان الأمر بلبل السادة أكثر مما بلبلنا؟

هند : إذا كنت تعنينا فاعلم أن الأمر لم يبلبلنا.

واحد : ما الذي فعلتموه إذن؟

هند : إن أبا سفيان قد ذهب يستطلع الأمر وسيعود إليكم برأي.

واحد : وسيقول لنا تهيؤا لمقاتلة محمد، لماذا؟ لكي نحمي مكة.

هند : ألا يعنيك أن تحمي مكة؟

واحد : لا .. ماذا يأتيني من مكة ومن هذه الكعبة؟ تجار يربحون من كافة أصقاع الأرض. وأنا ما الذي ينالني من مرابحهم؟ في الأشهر الحرم يأتي بعض الغرباء فلا أكاد أحصل منهم على اللقمة إلا بشق النفس.

واحد : متى يعود أبو سفيان؟

هند : لن يتأخر كثيراً.

واحد : ماذا تقترحين أن نفعل إلى أن يعود؟

هند : تهيئوا سيوفكم. إن محمداً يريد أن يذلكم بصعاليك العرب ويجب أن لا تسمحوا له بدخول الكعبة إلا على جثثكم.

واحد : أنا لا علاقة لي.

هند : قبحتم جميعاً. لقد ماتت النخوة فيكم، كان يجب أن نعرف أنه ليس لدينا رجال. سأذهب إذن لتحريض النسوة لعل فيهن بقية من خير لم تعد موجودة لديكم.

وحشي : «يدخل سكراناً وهو يغني» فأزور من وقع القنا بلبانه.

هند : وحشي

وحشي : «ينظر إليها متأملاً» هل عاد الحمزة؟

هند : أي حمزة هذا الذي تتكلم عنه؟ ألم تسمع الأنباء؟

وحشي : «يشيح عنها ويتجه ليجلس بعيداً» وشكا إلى بعبرة وتحمحم.

هند : أهذا وقت سكرك وأشعارك؟

وحشي : وهل وجدت سيدتي وقتاً يصلح لشيء آخر؟

واحد : إن جيش محمد قادم إلى مكة.

وحشي : فليأت جيش أبرهة، ماذا يعنيني من هذا كله؟

هند : بعد أن أصبحت حراً لم تعد تهتم لشيء.

وحشي : لا يا سيدتي. أنا لم أصبح حراً. فتحت باب سجني وخرجت متوهماً أنني حر فوجدت نفسي في سجن أوسع. ولست أنا الذي لم يعد يهتم لشيء. بعد أن توهمت أنني حر لم يعد أحد يهتم بي. إن عبوديتي وشم في جبيني. الناس ما زالوا يرونني عبداً، ربما بسبب لوني، وربما لأنني كنت عبداً لسيد عظيم «متألماً» عبد .. عبد .. مثل هذا المنحوس «يشير خارج المسرح حيث يدخل الحطيئة». انظروا إليه لم يبعه أحد ولم يشتره أحد، لكنه أكثرنا عبودية، «يحتضنه» تعال أيها الصعلوك التافه. تعال معي. السادة يحزنون وها هم يطلبون منا أن نبكي.

الحطيئة : «يتخلص منه ويتجه إلى هند» . ماذا ستفعلون يا سيدتي؟

هند : نحن ننتظر عودة أبي سفيان وسنمنع محمداً من دخول مكة بالقوة.

وحشي : «للحطيئة» وما همك أنت؟ ألم تصبح من أتباع محمد؟

الحطيئة : أنا رجل منحوس كنت من أتباعه ولكنه منعني من الهجاء فتركت دينه وهربت، لو كنت أعرف أنه

سينتصر ويدخل مكة لبقيت معه. ولكنني لم أستطع الانتظار. من كان يدري؟ «يندب» من كان يدري؟

هند : كفاك ندباً أنت وهذا العبد الخسيس، بعد قليل يأتي أبو سفيان وأنتم تعرفون انه سيقودكم إلى النصر الذي قادكم إليه في أحد.

وحشي : قولي لنا يا سيدتي، ماذا نفعل إذا جاء محمد إلى هنا؟

هند : لن يصل.

وحشي : وماذا تفعلون إن وصل؟

واحد : نلزم بيوتنا.

واحد : بل نخرج لقتاله.

الحطيئة : لو كنت تستطيع قتاله لما وصل إلى هنا فليلزم كل منا بيته.

هند : قبحتكم الآلهة.

واحد : «يدخل» يا قوم - يا قوم - لقد قبض محمد على أبي سفيان.

هند : «تهجم عليه» خسئت أيها الكاذب.

واحد : أقسم بأولادي أنه قبض عليه.

الحطيئة : «خائفاً» فإنه قادم إذن؟ «يتجه للخروج».

واحد : إلى أين يا أبا مليكة؟

الحطيئة : إلى حيث أجد الأمان لأطفالي.

هند : دعونا منه الآن. هل آذاه محمد؟

واحد : لا يا سيدتي لم يؤذه أبداً.

هند : قل لي كل ما تعرف. هيا.

واحد : لم تتركيني أكمل كلامي لقد أسره العباس وأخذه إلى محمد، وقد بات عندهم ثم أطلقوا سراحه. وأظنه سيأتي بعد قليل. «الحطيئة يتجه للخروج».

واحد : يا أبا مليكة. حين تجد نفسك وسط معركة يجب أن تقرر مع أي من الطرفين المتقاتلين أنت. وإلا حسبك الجميع عدواً.

وحشي : دعه يا رجل. بعد قليل يصل جيش محمد، هل تستطيع أن تحميه أنت أو هذه المرأة؟

هند : صار اسمي الآن هذه المرأة يا وحشي؟

وحشي : سنرى ما سيصبح اسمك بعد أن يمرغكم محمد.

واحد : وأنت ما الذي ستفعله؟

وحشي : أنا سأشتري بما ظل معي خموراً وأشرب وأنا جالس على اللات والعزى أرقب سادة قريش وهم يرتجفون ذعراً.

هند : لا تضيعوا وقتنا أيها الناس دعونا نتهيأ لملاقاة محمد «لوحشي» وحشي إنني أدعوك إلى القتال، ألن تلبي؟

وحشي : أقاتل؟ ومع من؟ «الحطيئة يتسلل خارجاً».
محمد وقومه أعدائي. وأبو سفيان وقومه أعدائي.

هند : «تبصق عليه ،فيقابلها بضحكة».

وحشي : أبو سفيان وقومه هم الذين أذلوني واستعبدوني ودفعوني إلى القتل، ومحمد وقومه يرونني كافراً، لا أنا لست مع أحد سأسكر وأنا أتفرج عليهم يقتل كل منهم الآخر.

هند : ولكن لا تنس أن لمحمداً معك ثأراً.

وحشي : معي أنا؟ ولماذا؟

هند : أنت الذي قتلت عمه الحمزة.

«يدخل أبو سفيان فيتجه الجميع إليه»

هند : قلت لكم إنه سيعود، هات يا أبا سفيان، قل لنا ما تراه الآن.

أبو سفيان : يا معشر قريش، هذا محمد قد جاءكم فيما لا قبل لكم به.

هند : «تثب إليه وتأخذ بشاربه» اقتلوه اقتلوه قبحت من طليعة قوم. «يمسكون بها ويهدئونها».

واحد : ما هذا الكلام يا أبا سفيان؟

أبو سفيان : لقد عرضوا أمامي جيوشهم وإن فيها ما لا قبل لنا به. وإنني أنصحكم أن لا تفكروا في قتالهم.

هند : جئت إذن تنصحنا أن نرتمي على أقدامهم أيها الدمس الأحمق.

أبو سفيان : سيزورون الكعبة ونحن ننتظرهم حتى يذهبوا ثم نقرر أمرنا.

هند : بل نقرر أمرنا الآن.

أبو سفيان : الآن عليكم أن تلزموا بيوتكم «يخرج».

هند : بل الآن سنتوجه لقتالهم أيها الرعديد «تخرج»، «الجميع يخرجون باستثناء وحشي».

وحشي : «وحده» هل من المعقول أنه لا يزال يذكرني. إن له معي ثأراً. آه أيها الوحيد في هذا العالم الضاري إلى أين تلتجئ؟ لقد هربوا إلى أوكارهم كالجرذان. وأنت وحيد في البرية كالذئب الجريح. سادتك لا يحبونك وأعداؤك يكرهونك، ولكن لا، غير معقول. إن محمداً

يريد أن يحرر العبيد، سيفهمني، سأقول له يا سيدي أنا عبد كان يريد حريته، أنا عبد يكره السادة وبغتة أرى فرصة لحريتي في أن أقتل سيداً، فلماذا لا أفعل؟ أنت تفهمني، أليس كذلك؟ كان يجب أن لا أتردد أليس كذلك يا سيدي؟ حتى لو حاولت قتلك أنت فلا شك أنك ستبرر لي ذلك. أنت نبي يجب أن تفهمني، ماذا تريد مني؟ أن أسلم؟ سأسلم سأقول أشهد أن لا إله إلا الله.

صوت : أيها الناس - جيش محمد يصل أبواب مكة، من دخل بيته فهو آمن.

وحشي : «يصعد إلى رأس الصنم» سنتفرج على السادة وهم يتغلغلون في بيوتهم كالأفاعي.

الصوت : من دخل بيته فهو آمن.

وحشي : أنا لا بيت لي، سأبقى هنا حتى أرى كيف سيقوم محمد بإذلال أبي سفيان.

الصوت : من دخل بيته فهو آمن ومن دخل الكعبة فهو آمن.

وحشي : «ينزل عن الصنم مسرعاً» سأختبئ هنا إذن «يختبئ وراء الصنم» غير معقول لا يمكن أن يرضى محمد بأن ينجيني الصنم طالما أنه ضد الأصنام «يضحك» لا شك أنه سيهدمها أمام عيني أبي سفيان، وسيوزع أمواله وأموال التجار علينا نحن الفقراء.

الصوت : من دخل بيته فهو آمن ومن دخل الكعبة فهو آمن ومن دخل بيت أبي سفيان فهو آمن «يظل هذا الصوت يتكرر حتى دخول المسلمين».

وحشي : «مذعوراً» أبو سفيان؟ لا. أبو سفيان؟ «يهجم على الصنم»أيها الصنم الذي يظل محتفظاً بقيمته لماذا يثورون ضدك إذن؟ أنت العدو والخلاص؟ أيتها الآلهة العمياء لماذا لا تسمعين شكوى إنسان متألم؟ لم أنت آلهة إذن؟ أنت عبوديتي وخلاصي، وأبو سفيان عبوديتي وخلاصي، وهند عبوديتي وخلاصي.

هند : «تدخل خائفة».

وحشي : «يركض إليها» سيدتي إلى أين أنت ذاهبة؟ ألم تسمعي النداء؟ إن محمداً قادم.

هند : الكلاب، لم يرضوا أن يقاوموا محمداً.

وحشي : عودي إلى بيتك يا سيدتي.

هند : لا تعطف علي أيها العبد النجس.

وحشي : إن محمداً قادم ألم تسمعي النداء؟.

هند : «تتشفى منه» أنا ذاهبة إلى بيتنا، ألم تسمع النداء؟ إن محمداً قادم.

وحشي : سيدتي لا تتركيني وحيداً، أرجوك لقد بقيت بلا معين، إنهم قادمون ليقتصوا مني.

هند : «باحتقار» يقتصون منك أنت؟.

وحشي : نعم مني أنا، أنا الذي قتلت الحمزة، هل نسيت؟ أنت أيضاً سيقتصون منك لقد علكت كبده ألا تذكرين؟ ولكن لديك من يحميك أرجوك لا تتخلي عني.

الصوت : أيها الناس.

هند : اسمع.

الصوت : من دخل بيته فهو آمن ومن دخل الكعبة فهو آمن ومن دخل بيت أبي سفيان فهو آمن.

هند : هل سمعت؟.

وحشي : ما الذي يجري بحق الآلهة؟

هند : من دخل بيت أبي سفيان فهو آمن.

وحشي : هل تصالحتم؟.

هند : أظن ذلك.

وحشي : ماذا ستفعلون الآن؟.

هند : «تفكر قليلاً، بلؤم». قد نصبح من أتباع محمد.

وحشي : ولكنه دين الفقراء والعبيد.

هند : «تضحك» من دخل بيت أبي سفيان فهو آمن.

وحشي : ولكن ليس من المعقول أن يعفو عنك بعد أن علكت كبد عمه.

هند : لا إنه نبي، أيها العبد الخسيس، نبي، هل تفهم؟ والنبي لا يكون حقوداً سيصفح عنا جميعاً، «تتجه للخروج» لا تؤخرني.

وحشي : «يعترض طريقها» إلى أين؟.

هند : إلى بيتي، تعال معي من دخل بيت أبي سفيان فهو آمن، هل تأتي؟

وحشي : «يصرخ محتداً» لا.

هند : «تخرج مسرعة».

وحشي : «وحده يهذي» من دخل بين أبي سفيان فهو آمن، بيت أبي سفيان «يصرخ منادياً» يا بلال. يا بلال تعال قل لي إذن لماذا تحملت العذاب كله، يا عمار بن ياسر تعال واشرح

لي معنى ما فعلته «أصوات الخيول وحشي يركض مذعوراً إلى الصنم» ها أنت وحدك أيها البائس لم يبق لك شيء، أنا لم أخلق عبداً، وهم لم يخلقوا سادة. لماذا يحكمون طوقهم حول عنقي؟ لماذا إذن لا أجد خلاصاً منهم؟

«يدخل بلال ومعه بعض المسلمين يرددون وراءه».

بلال : الله أكبر الله أكبر جاء الحق وزهق الباطل إن الباطل كان زهوقاً الله أكبر الله أكبر جاء الحق وما يبدي الحق وما يعيد.

«بلال يبدأ بتكسير الأصنام، يخرج من وراء واحد منها وحشي»

بلال : أهذا أنت يا عدو الله؟

وحشي : بلال أخي أرجوك.

بلال : ستدفع ثمن جريمتك الآن أيها الحقير.

وحشي : ارحمني أرجوك.

واحد : بلال إنه داخل الكعبة، ومن دخل الكعبة كان آمناً.

بلال : ابتعد عني يا عدو الله، والله لولا أنك في الكعبة لجعلت سيفي يخالط أضراسك.

وحشي : بلال كنت على وشك أن أيأس من كل شيء. ولكن طالما أنك ما تزال في جيش محمد فتلك ضمانة لي.

بلال : وتريد ضمانة أيها المجرم.

وحشي : نعم يا بلال أريد ضمانة. أريد أن أتأكد أن هناك طريقاً ما يمكن أن ينفذ منها العبيد إلى الحرية.

بلال : لقد قلت لك منذ زمن طويل أن تسلك معي هذا الطريق، إنه دين الفقراء.

وحشي : يبدو لي أنك على حق، ولكن هل تعلم أن أبا سفيان يريد أن يدخل في دينكم؟ إن هنداً هي التي قالت لي ذلك منذ قليل.

بلال : فليدخل. إن الإسلام هو دين البشرية جمعاء.

وحشي : «لبلال» هل ستقبلونه؟ لا يا بلال إن الأغنياء يريدون أن يغتنموا فرصة انتصاركم ليتغلغلوا في دينكم.

بلال : «بثقة» فليدخلوا في دين الله. بسم الله الرحمن الرحيم (إذا جاء نصر الله والفتح ورأيت الناس يدخلون في دين الله أفواجاً فسبح بحمد ربك واستغفره إنه كان تواباً).

وحشي : أتقبل توبتي؟

بلال : إن كانت صادقة.

وحشي : أيقبلها محمد؟

بلال : إذا كان رب محمد يقبلها فكيف لا يقبلها محمد؟

وحشي : خذني إلى محمد.

«يدخل مسلمان ومعهما الحطيئة»

واحد : انظروا ماذا وجدنا؟

بلال : أنت أيها المرتد؟

الحطيئة : بلال أرجوك سأعلن إسلامي الآن.

بلال : أيها المنافق المخادع «يمتشق سيفه».

الحطيئة : أشهد أن لا إله إلا الله واشهد أن محمد رسول الله.

بلال : «يعيد سيفه» لقد سبقتني.

الحطيئة : «يكرر الكلام بعصبية» أشهد أن لا إله إلا الله واشهد أن محمد رسول الله.

وحشي : بـلال يا صـديقي إن قـبل محمـد توبـتي دخلـت في دينـكم وتعاونا لمنع تسرب الأغنياء إليه.

بلال : لـن نمنعهم مـن الدخـول في ديننا ، ولـكـنا سـنمنعهم مـن السيادة باسمه.

وحشي : هيا بنا.

بلال : هيا

«يخرجون»

الفصل الثاني

«الحطيئة ينهي صلاته ويبدأ بالدعاء»

الحطيئة : إلهي وعـزتك وجلالـك لـئن طالبـتني بذنوبـي لأطالبـنك بعفـوك. ولـئن طالبـتني بلؤمـي لأطالبـنك بكـرمك. ولـئن أدخلتني النار لأخبرن أهلها بحبي لك.

حسان : «من ورائه» أهـكذا يدعو المرء ربه يا جرول؟.

الحطيئة : حسان بن ثابت، أكنت تسمعني؟.

حسان : طبعاً كنت أسمعك، أهـكذا تدعو ربك؟.

الحطيئة : كيف إذن؟.

حسان : كأنك تحاكمه! أستغفره وأتوب إليه.

الحطيئة : كيف أدعو إذن؟.

حسان : إن لك ماضياً لا يرضي الله ورسوله يجب أن تدعو الله لكي يغفر لك.

الحطيئة : إنني أدعوه على طريقتي.

حسان : ادع كما يدعو المذنبون.

الحطيئة : إن كان الله لا يغفر إلا لأوليائه وأهل طاعته فإلى من يفزع المذنبون؟ وإن كان لا يكرم إلا أهل الوفاء له فبمن يستغيث المسيئون؟.

حسان : في هذا الكلام تجذيف على الله.

الحطيئة : لن تعلمني كيف أصوغ كلامي.

حسان : تريد أن تذكرني أنك شاعر؟.

الحطيئة : طبعاً أنا شاعر.

حسان : لست وحدك الشاعر.

الحطيئة : أنا أعرف أيضاً أنك شاعر.

حسان : وهل قلت شعراً يخدم الله ورسوله.

الحطيئة : أنا لا أقول إلا ما يخدم نفسي وعيالي.

حسان : مازال قلبك زائغاً، ألم تفهم بعد أن الدعوة الجديدة هي التي تخدم نفسك وعيالك؟.

الحطيئة : لم أر شيئاً بعد.

حسان : بدأ الزيغ يظهر، منذ أن انتقل رسول الله إلى جوار ربه والمنافقون يكشفون أقنعتهم.

الحطيئة : كان رسول الله المرجع الوحيد وبعد أن ذهب لا يستطيع أحد أن يدعي أنه المرجع البديل عن رسول الله.

حسان : وأبو بكر الصديق؟.

الحطيئة : أبو بكر، هه:

أطعنا رسول الله إذ كان بيننا
فيالعباد الله ما لأبي بكر

أيورثها بكراً إذا مات بعده
وتلك لعمر الله قاصمة الظهر

بلال : «يدخل ويسمع البيت الثاني» ماهذا الذي تقوله يا أبا مليكة؟.

حسان : ارتد اللعين.

بلال : صحيح؟.

حسان : اسمع ما يقوله عدو الله.

الحطيئة : أقوله وأعيده، أنا أطيع رسول الله ولا أطيع أبا بكر.

بلال : لم يا جرول؟.

الحطيئة : لم علي أن أدفع الزكاة له؟ لم يدفع الناس الزكاة لقريش؟.

بلال : إنه صاحب رسول الله والإمام في مرضه.

الحطيئة : وما يعنيني من هذا الكلام؟ لا تنس أنه كان من أغنياء مكة.

بلال : لكنه قدم أمواله كلها في سبيل الدعوة.

الحطيئة : واشتراك منها ثم أعتقك.

بلال : نعم.

الحطيئة : كان يستطيع ألا يعتقك.

حسان : مالك تزلق كالأفعى من موضوع إلى موضوع.

الحطيئة : تريدون الصراحة؟.

حسان : قل.

الحطيئة : بعد أن مات محمد لم يعد هذا الدين يعجبني.

بلال : لم يتغير شيء بموت رسول الله.

الحطيئة : نعم تغيرت آمالي، هناك أكثر من مسألة كنت أنتظر أن يتم النبي حكمه فيها، ولكن بموته انغلقت الأبواب.

حسان : سيكملها أصحابه من بعده.

الحطيئة : سيكملها كل على هواه.

حسان : أتتهمهم بمجاراة أهوائهم؟

الحطيئة : أظن أن رسول الله وحده المعني بقوله تعالى وما ينطق عن الهوى.

بلال : «لحسان» دعني أتفاهم معه. أرجوك.

حسان : سأنتظره حتى صباح الغد وإلا أبلغت خليفة رسول الله أنه مرتد.

«يخرج»

بلال : نستطيع أن نتحدث الآن بهدوء.

الحطيئة : لا، اجلب لي عمار بن ياسر وأبا ذر الغفاري وتعال معهما.

بلال : كما تشاء. انتظرني.

«يخرج»

الحطيئة : «وحده» عليّ اللعنة إذا بت في هذه الديار.

«يخرج من الطرف الآخر»

* * *

المجموعة موزعة على المسرح. «الجميع مطرقون ينكثون الأرض أو يشردون»

الرجل : «يدخل مسرعاً مستبشراً» بشراكم يا معشر المسلمين «يلتفتون إليه ببرود» انتصر خالد بن الوليد على بني تميم وقتل مالك بن نويرة. «يلاحظ عدم حماسهم، يزيد في

حركاته ليجذب انتباههم»، بعد أن أسره قتله وجعل رأسه ثالثة الأثافي تحت القدر «لا يهتمون» لقد غضب عمر من خالد وأراد أن يقيم عليه الحد، لكن الخليفة اعتبر هذا اجتهاداً مقبولاً من خالد، إنها عبرة للمرتدين ولكل من تسول له نفسه أن يرتد. «الجميع ساكتون، يجلس الرجل منعزلاً عنهم وهو يحدق إليهم خائباً».

« وحشي يدخل دون أن يحيي، يتقدم ببطء إلى طرف المسرح ويجلس ساهماً».

واحد : «يهمس لآخر بجانبه» بطل آخر من أبطال حروب الردة.

الرجل : «وقد وجد فرصة للكلام يقترب منهما» هذا وحشي. لقد قاتل ببسالة. خالد ووحشي هما بطلا حروب الردة.

واحد : «منفجراً» حروب الردة؟ لماذا تصرون على تسمية هذه الحروب كلها حروب ردة؟

الرجل : إنها فعلاً حروب ردة.

واحد : لكي تكون حروب ردة يجب أن يكون أولئك الذين تحاربونهم مرتدين.

الرجل : كلهم مرتدون.

واحد : لا، المرتد هو الذي ترك الإسلام. مالك بن نويرة كان مسلماً.

الرجل : لم يفعل سوى أنه رفض مبايعة أبي بكر.

الرجل : من يرفض مبايعة خليفة رسول الله يعني أنه ضد رسول الله ومن كان ضد رسول الله . . .

واحد : لا تكمل. لا تكمل، روحوا إذن وحاربوا علياً بن أبي طالب فهو الآخر لم يبايع.

واحد : وكذلك سعد بن عبادة.

الرجل : هذان لم يحركا الفتنة ولم يطلبا إلى الناس الانفضاض عن بيعتهم أو الامتناع عن دفع الزكاة.

واحد : «لوحشي» مالك يا وحشي لا تشاركنا في هذا الحديث؟.

وحشي : أنا لست مهتماً بهذه الاجتهادات. أنا أقاتل فقط.

واحد : تقاتل فقط؟ كما قاتلت في أحد؟.

وحشي : «منفجراً»لم تعود إلى هذا الحديث؟.

واحد : أعني أن عليك أن تعرف أين تقاتل!.

وحشي : أنا لست مهتماً إلا بشيء واحد هو الشهادة.

واحد : قد تقتل في هذه الحروب ولا تحتسب شهيداً.

وحشي : وكيف؟.

واحد : قد يقتلك مسلم.

واحد : وقد تقتل وأنت تدافع عن أبي سفيان مرة أخرى.

وحشي : «محتاراً» وما العمل؟.

الرجل : لا تحيروا الرجل إنه ثابت على دينه ومتفان في الدفاع عنه منذ أن هداه الله.

وحشي : «يصرخ» دعهم أريد أن أفهم.

الرجل : إنك تنفذ أوامر الخليفة وبهذا تنفذ أوامر الله. وأطيعوا الله ورسوله وأولي الأمر منكم، إن أبا بكر من أولي الأمر.

وحشي : هل أنت متأكد؟.

هند : «تدخل فيلتفت الجميع إليها»

ولن يقيم على ضيم يراد به

إلا الأذلان عير الحي والوتد

هذا على الخسف مربوط برمته

وذا يشجّ فلا يرثى له أحد

واحد : ومن هما الأذلان؟.

هند : علي والعباس، إنهما أحق من أبي بكر بهذا الأمر، لكنهما يخنعان ويسكتان على حقهما.

وحشي : «كأنه وجد فكرة» إذن فأنت ضد أبي بكر.

هند : طبعاً.

واحد : تفضلوا وقاتلوها إنها مرتدة.

هند : اخرس يا عدو الله قطع الله لسانك.

الرجل : إنك تثير الفتنة.

وحشي : «بلهجة إعلانية» أنا، إذن مع أبي بكر.

«يلتفت الجميع إليه»

واحد : ماذا قلت؟

وحشي : أنا مع أبي بكر.

واحد : لماذا؟

وحشي : «مشيراً إلى هند» لكيلا يظل سادتنا في الجاهلية سادتنا في الإسلام «يتجه للخروج فيصطدم بأبي سفيان مندفعاً إلى المسرح».

أبو سفيان : والله إني لأرى عجاجة لا يطفئها إلا الدم. يا آل عبد مناف يا آل عبد مناف فيم أبو بكر من أموركم؟ أين المستضعفان أين الأذلان علي والعباس؟

هند : ليسا هنا.

أبو سفيان : آه لو أن علياً بسط يده فبايعته.

وحشي : آه لو أن أبا بكر يعتبرك مرتداً. «يخرج».

أبو سفيان : ماذا قال هذا الصعلوك؟ ؟

هند : هذا وحشي، دعه وحدث الناس.

أبو سفيان : «للآخرين» لقد أخذ أبو بكر ما ليس له حق به، وإنكم في حاجة لواحد من أقرباء رسول الله يعيد الحق إلى نصابه.

«المجموعة تنسحب بالتدريج دون أن تهتم لكلامهما».

هند : لم يستمعوا لك.

أبو سفيان : وهل كنت تتوقعين أن يمتشقوا سيوفهم لتسليم الأمر إلى علي.

هند : أليس هذا ما تريد؟

أبو سفيان : «لا» إنني لا أريد إلا هذه البلبلة وأن يصل الناس في نهايتها إلى أنه من الممكن أن يستلم الأمر رجل ليس من بني هاشم.

هند : هذا يعني أن استلام أبو بكر يخدم فكرتك.

أبو سفيان : بمقدار ما لا يجعل الناس يعتبرون أنها حق لكل منهم. يجب أن نركز على مسألة أقرباء رسول الله «يشرح» وبما أن علياً والعباس متقاعسان عن هذا الحق فلا بد أن يتنطع للأمر أقرباء آخرون لرسول الله. «يضحكان ويخرجان».

* * *

«أصوات معركة - صليل السيوف - صهيل خيول - صراخ، وهج نيران»

أصوات : الله أكبر.

الله أكبر.

هدموا قلاع البغي.

صوت وحشي : قتلت مسليمة الكذاب.

أصوات : ألله اكبر.

الله أكبر.

«يدخل بلال من جهة وهو يطارد عدواً، من الجهة الثانية يدخل وحشي يطارد عدواً. يلتقي كل منهما بخصم الآخر فيقتله».

بلال : سلمت يداك.

وحشي : سلمت يداك أنت أيضاً.

بلال : أظن أن المعركة قد انتهت.

وحشي : أذن في الناس.

بلال : «ينادي» الله أكبر الله أكبر ظهر الحق وزهق الباطل إن الباطل كان زهوقاً.

«رجل يتسلل مرتعداً، يلمحه وحشي، يمسك بحربته ويندفع إليه. يمسك به ويرفعه».

وحشي : إلى أين تتسلل أيها الأفعى؟

الحطيئة : أتوسل إليك لا تقتلني أنا رجل فقير لا ناقة لي في هذه الحرب ولا جمل.

بلال : من؟ جرول؟.

وحشي : الحطيئة؟.

الحطيئة : «بشيء من الارتياح» الحمد لله أنني وقعت في أيديكما.

بلال : أتعتقد أنك ستنجو؟ «يشهر سيفه».

وحشي : لا يا بلال.

بلال : دعني أدس هذه الأفعى.

وحشي : دعه يا أخي، رجل مسكين لا حول له ولا قوة.

بلال : ما الذي تفعله هنا مع المرتدين أيها الحشرة؟.

الحطيئة : كنت أبحث عن لقمة أولادي وعن مناخ أقول فيه الشعر.

بلال : ولم تجده إلا مع مسيلمة؟ لماذا لم تنتظرني في ذلك اليوم؟ أتظن أنك تسخر مني؟.

الحطيئة : «يكاد أن يبكي» كنت أعرف أن أحداً منكم لن يفهمني، أنا أخاف على مستقبل أولادي وأخاف أن ينحدر شعري بسبب الجو الذي يحيطني به حسان بن ثابت.

بلال : أهذا سبب كاف للردة؟.

الحطيئة : قلت لك إنك لم تفهمني. إنني أريد أن أجني لأولادي قدر ما أستطيع قبل أن أموت، اقتلني إذا شئت ولكنني لو وجدت لقمتهم عند الشيطان ذاته لذهبت إليه وعبدته.

وحشي : لكنك يا أخي لم تكن في ضائقة.

الحطيئة : إنها ضائقة أخلاقية وليست ضائقة مادية، ليست الضائقة أن لا تملك الآن فقط ما تحتاج إليه، الضائقة أن لا تثق في أن يلبيك أحد إذا احتجت. قد أموت اليوم أو غداً، ماذا يحل ببناتي بين الذئاب الضارية وهن فقيرات؟ يجب أن أضمن أنهن لن يضطرون لإهدار كرامتهن بمقدار ما أهدرت كرامتي أو أهدرت أمي كرامتها.

الحطيئة : إن ما يؤرقني يا أخي أن الخليفة يفتح ألف باب لتحرير العبد ولكن باباً واحداً لم يغلقه وهو إمكانية شراء عبيد جدد «بانهيار» خشيت أن يبيع أبنائي أنفسهم.

وحشي : دعه يا بلال.

بلال : «للحطيئة» اغرب عن وجهي.

الحطيئة : إلى أين سأذهب؟ دلني يا بلال. يبدو أنك أفضلنا رأياً، ماذا أفعل؟

بلال : «بمرارة» افعل ما تشاء لا رأي عندي.

الحطيئة : ألن ترشدني أنت؟

بلال : لا

الحطيئة : «يتجه للخروج منكسراً»

وحشي : جرول، لم لا تعود إلى الإسلام؟

الحطيئة : أعود.

وحشي : «لبلال» ما رأيك؟

بلال : لا أدري فليفعل ما يشاء.

وحشي : اذهب إلى الخليفة وأعلن توبتك أمامه.

الحطيئة : «يخرج صامتاً».

وحشي : لم تكن متحمساً لدعوته.

بلال : لست متحمساً لدعوة أحد.

وحشي : هل فقدت حماسك للإسلام؟

بلال : لا. مازلت مستعداً أن أموت من أجله في أي لحظة.

وحشي : أتشك في صدقه؟

بلال : منذ أن بدأت انتصارات الرسول حتى استلام أبي بكر وازدياد هيبة الإسلام والخليفة وأنا أرقب ما يجري بمرارة

وحشي : لماذا؟

بلال : في البدء لم يكن يأتي إلى الإسلام إلا المؤمنون به، الآن بعد أن أصبح الإسلام دولة يأتي إليه كثيرون، يأتي من يريدون أن ينتفعوا به أو يستثمروه أو يحوروه لصالحهم أو ليتسلطوا عليه ويحكموا باسمه!

وحشي : لكننا سنقف لهم بالمرصاد.

بلال : طبعاً. ولكن كلما اندفع الناس إليه أكثر كلما كان المنافقون بينهم أكثر.

وحشي : لا تستطيع أن تمنع الناس من اللجوء إلى الإسلام طالما أنهم يجدون فيه خلاصهم.

بلال : أبداً، ولا أريد ذلك، في الإسلام يتساوى الناس جميعاً كما علمنا رسول الله صلى الله عليه وسلم ولكن كيف السبيل لمنع انقضاضهم علينا؟

وحشي : لم يكن هذا رأيك حين دعوتني إلى الإسلام.

بلال : الأمر مختلف الآن. كنت تبحث عن خلاصك.

وحشي : «بألم» خلاصي.

بلال : وها أنت من خيرة المجاهدين لنصرة دين الله.

وحشي : بلال أتعتقد أن الله سيغفر لي؟

بلال : لقد أجابك رسول الله على سؤالك هذا.

وحشي : لم يجبني.

بلال : سمعته يقول: «غفر الله لك».

وحشي : ولكنه قال، دار عني وجهك.

بلال : لأنك تذكره بعمه الحمزة.

وحشي : كيف السبيل لمحو هذا الإثم؟

بلال : إن جهادك يكفيك.

وحشي : لا. لا يكفي.

بلال : لماذا؟.

وحشي : لايكفي يا بلال، إن في أعماقي شيئاً يحترق ويحرقني ويذكرني بما فعلته أنا الذي جعلت رسول الله يبكي.

بلال : هذا أمر مضى.

وحشي : لا يا بلال، إنه حاضر أبداً، إن شيئاً كالدخان الخانق يتصاعد من أعماقي ويسد حلقي فيجعله جافاً.

بلال : إنه التعب، هل لك بشربة ماء؟.

وحشي : لا إن نفسي تشتهي جرعة من الخمر.

بلال : وحشي؟!.

وحشي : إنه ليس ظمأ الجسد، إنه ظمأ النفس، حرقة لا تطفئها إلا الخمرة.

بلال : وحشي، إن الشيطان يوسوس لك.

وحشي : لا، بل إن جراحي هي التي توسوس لي.

بلال : أتنوي حقاً أن تشرب الخمر؟.

وحشي : سأمنع نفسي، إنني قوي، ولكن المهم من أين يأتي الخلاص؟.

بلال : من جهادك كما قلت لك.

وحشي : لا يا بلال، لن يأتي إلا من استشهادي، إنني لا أخوض هذه المعارك لنصرة دين الله ولا للانتقام من أعدائه، إنني أبحث عن فرصة للشهادة، لا شيء يغسل نفسي ويجعلني في الآخرة أحدق في وجه رسول الله دون خجل إلا إن ذهبت إليه شهيداً.

بلال : لا يا وحشي، نحن لسنا في حاجة إلى الشهداء، نحن نحتاج إلى من يظلون يقاتلون وينتصرون ثم يستعدون لقتال آخر، إن أمامنا معارك طويلة لحماية الإسلام من أعدائه في الخارج ومن الذين تسللوا إليه.

صوت : يا معشر المسلمين. يا معشر المسلمين.

بلال : إنهم ينادوننا تعال نذهب.

وحشي : سأتبعك بعد قليل. «يخرج بلال».

«وحشي وحده يتجول قلقاً وهو يهذي»:

دع عنك داراً عفا رسمها — وابك على حمزة ذي النائل
مال شهيداً بين أرماحكم — شلّت يدا وحشي من قاتل
أظلمت الأرض لفقدانه — واسود نور القمر الناصل

«ينادي للدعاء» إلهي إنك أنزلت في كتابك العفو وأمرتنا أن نعفو عمن ظلمنا. وقد ظلمت نفسي فاعف عني فإنك أولى بذلك مني. وأمرتنا أن لا نرد سائلاً عن أبوابنا وقد جئتك سائلاً فلا تردني عن بابك، وأمرتنا بالإحسان إلى ما ملكته أيماننا ونحن أرقاؤك فاعتق رقابنا «يزداد صوته ألماً» إلهي إنني امرؤ حقير وخطري يسير وليس عذابي مما يزيد في ملكك مثقال ذرة، ولو أن عذابي مما يزيد في ملكك لأحببت أن يكون ذلك لي . . .

إطفاء

«يدخل أبو سفيان وصعصعة»

أبو سفيان : أليس هذا أبا ذر الغفاري يا مروان؟

صعصعة : بلى والله ومعه بلال وعمار. وأظن أن الآخر هو محمد بن أبي بكر.

أبو سفيان : «يضحك» صعاليك العرب يحسون بالقلق فيجتمعون.

صعصعة : ماذا تعني؟

أبو سفيان : أحس أنهم لا يحبونني، وأنا أعرف السبب كانوا يظنون أنهم سينفردون بزعامة الأمة لأنهم ناصروا محمداً في بدء الدعوة، ولذلك فحين يأتي إليهم أناس مثلنا ذوو قيمة ومكانة فإنهم يخافون على مكانتهم أن تتزعزع، أراهنك أنهم كانوا يتمنون أن نظل خارج الإسلام.

صعصعة : بلى والله إن فقرهم قد صلب نفوسهم على الحقد.

أبو سفيان : وزاد من طمعهم، أنت ترى ما يفعله أحدهم حين يولى ولاية.

«يدخل ثلاثة أشخاص»

الأول : السلام عليكم.

أبو سفيان وصعصعة: وعليكم السلام.

أبو سفيان : من القوم؟

الأول : عباد الله نريد أن نرى خليفة رسول الله.

أبو سفيان : خيراً إن شاء الله.

صعصعة : قولوا ما تريدون فهذا أبو سفيان.

الأول : يا سيدي جئنا نعلن إسلامنا بين يديه.

صعصعة : ألستم مسلمين؟

الأول : حين فتحتم بلادنا تركت لنا حرية العبادة ولكن الجزية مرتفعة. وقد رأينا أن نرتاح منها بإعلان إسلامنا. ولكن الوالي لم يقبل منا ذلك.

أبو سفيان : وماذا تريدون الآن من الخليفة؟

الأول : جئنا نعلن إسلامنا بين يديه.

أبو سفيان : وجئتم دون علم الوالي؟

الأول : نعم.

أبو سفيان : لا أنصحكم بمقابلة الخليفة لأنه سيحتجزكم عنده حتى يبعث في استشارة الوالي ولا شك أن الخليفة سيغضب كثيراً لأنكم جئتم دون علم الوالي كما أن الوالي قد ينكل بكم.

الأول : لكننا لم نجد وسيلة أخرى.

أبو سفيان : كيف سيصدق الخليفة إسلامكم طالما أنكم تعصون الوالي؟

الأول : وبماذا تنصحنا؟

أبو سفيان : أنصحكم أن تعودوا إلى بلادكم وأن تتركوا أمر سفركم سراً بينكم. وأنا أعدكم أن أنقل شكواكم إلى الخليفة.

الأول : وماذا عن إسلامنا؟

أبو سفيان : «غامزاً بابتسامة» هذه مسألة بينكم وبين ربكم.

«الثلاثة يتشاورون فيما بينهم».

الزبرقان : «وهو يدخل» السلام عليكم.

أبو سفيان : وعليك السلام، كيف حالك يا زبرقان؟

الزبرقان : نحمد لله، كيف حالك يا صعصعة؟

صعصعة : مشتاق إليك. ماذا جلبت في جعبتك؟

الزبرقان : «مشيراً إلى المال» مسائل للخليفة، وهدايا للأصدقاء.

صعصعة : وهل نحن في صف الأصدقاء؟

الزبرقان : «ضاحكاً» في رأس القائمة.

الأول : يا أبا سفيان.

أبو سفيان : هل اتفقتم؟

الأول : اتفقنا أن نرجع على أن توصل شكوانا إلى الخليفة.

أبو سفيان : اتكلوا على الله.

الأول : السلام عليكم «يخرجون».

الزبرقان : من القوم؟

أبو سفيان : متظلمون.

الزبرقان : «يضحك» وجاؤوا يعرضون ظلامتهم عليك؟

أبو سفيان : «يضحك معه» لكي أنقلها إلى الخليفة.

صعصعة : تعالوا نكمل ضحكتنا بالشعر. «يدخل الحطيئة وحسان».

أبو سفيان : ما بال شعرائنا؟

الزبرقان : من هذا الرجل القميء؟

أبو سفيان : لا ترفع صوتك، إنه الحطيئة، يتشاجر مع حسان بن ثابت.

الزبرقان : أعوذ بالله من سطوة لسانه.

حسان : «بهدوء» لا، لا هذا ليس شعراً، إنك تخترع شيئاً لا وجود له، وهذا كذب لم يسمح به الله ورسوله.

الحطيئة : يا حسان هذا شعر.

حسان : «وهو يشير إلى ورقة بين يديه» وأين حدثت هذه القصة؟

الحطيئة : لا أدري . .

حسان : لا تدري؟

الحطيئة : تخيلتها.

حسان : يعني أنك لفقتها، تعني أنها كلها كذب وافتراء.

الحطيئة : حسان. أهكذا تقرآ الشعر؟.

حسان : إنك تسيء إلى سمعة الإسلام، اسمعوا يا ناس، ماذا يقول أعداء الإسلام إذا عرفوا أن هناك إنساناً يعيش في ظل دولة الإسلام على الشاكلة التي قدمها هذا الخسيس؟ اسمعوا:

وأفرد في شعب عجوزاً إزاءها
ثلاثة أشباح تخالهم بهما
حفاة عراة ما اغتذوا خبز
ولاعرفوا للبر مذ خلقوا طعما

«للحطيئة» أين وجدت رجلاً كهذا؟.

الحطيئة : إني أصف رجلاً فقيراً جائعاً مع أسرته.

حسان : أين هو؟.

الحطيئة : يا أخي اخرج من بيتك لترى الفقراء.

حسان : إلى هذا الحد؟ فقير إلى هذا الحد في ظل دولة الإسلام.

الحطيئة : هل تستغرب؟ أنا فقير إلى هذا الحد في ظل دولة الإسلام؟.

حسان : ها أنت تعترف. إنه إذن حقدك الشخصي تحوله إلى حادثة خارجية للتشهير بدولة الإسلام. إنك تخترع شيئًا لاوجود له.

الحطيئة : يا حسان. الشعر يخلق عالمه.

حسان : يخلق؟ أعوذ بالله منك. لا خالق إلا الله أيها الكافر.

الحطيئة : كما تشاء.. كما تشاء. لا يخلق بل يبتكر، يخترع، يستولد، المهم إنه من خلال صنعه لعالمه الخاص به يخدم القيم التي تريدها.

حسان : ولم هذا اللف والدوران، لم لا تقول شعرك في قيم الإسلام مباشرة.

الحطيئة : ليس المهم امتداح هذه القيم. المهم أن نخلق «يستدرك» عفواً المهم أن نجدد في الشعر بمقدار ما جدد الإسلام في الحياة وخلال ذلك يتضح تقديسنا لهذه القيم.

حسان : وماذا عن الله ورسوله؟.

الحطيئة : الله مذكور هنا، اسمع:

وقال هيا رباه ضيف ولا قرى
بحقك لا تحرمه تا الليلة اللحما

حسان : ولكن الحل لا يأتي بفضل الله، ثم أين ذكر رسول الله في القصيدة؟.

الحطيئة : وما علاقة رسول الله بهذا؟.

حسان : «غاضباً» ما علاقة رسول الله؟.

الحطيئة : «يلتفت للآخرين الذين يضحكون» يا ناس أنصفوني بحق الله.

أبو سفيان : ما الأمر ياجرول؟.

الحطيئة : قصيدة تحكي عن رجل فقير هو وأولاده لم يذوقوا طعاماً منذ ثلاثة أيام. يفاجأ في الليل بضيف «لحسان» انتبه هنا جوهر الأزمة، إنه مطالب بواجب تجاه الآخرين، لم يستطع أن يؤمنه لنفسه ولأولاده. حتى همّ أن يذبح ابنه للضيف.

صعصعة : وهل يقبل الضيف أن يأكل من لحم الطفل؟.

الحطيئة : «محاصراً بالغباء» قلت همّ أن يذبحه. ليس من الضروري أن يعرف الضيف بالمسألة. ولكن هل هناك على قلب الرجل من هو أحب من أطفاله؟ «يسترسل» الأطفال هم ضوء العيون وخفق القلب وعبء الضمير.

حسان : حسن حسن اختصر.

الحطيئة : ومع ذلك همّ أن يذبح طفله لكي لا يعتذر لضيفه.

حسان : هذا الهذيان ليس شعراً. إنه لا يخدم الله ورسوله ولا يتعرض لحروب الردة ولا لانتصارات جيوش المسلمين، إنه ليس مرتبطاً بهذا العصر.

الحطيئة : «وقد انفجر غيظاً» اسمع إن كل ما تشدقت به من شعر في المناسبات لم يبق منه عشرة أبيات ذات قيمة، كله شعر مات مع مناسبته.

حسان : لأنه شعر صادق ليس فيه من الكذب كلمة. كله شعر في رضاء الله ورسوله والذود عنهما، هذه هي روح الإسلام التي لم تصل إليك يا عدو الله.

الحطيئة : لا تشتط بكلامك كثيراً أيها العجوز الخرف الأحمق، والله العظيم إن كنت مصراً على فهم الإسلام في الشعر بهذه الطريقة وعلى فرض هذا المفهوم علي سأرتد عن الإسلام منذ الآن.

حسان : لعنة الله عليك. والله إنك مرتد في أعماقك. «يخرج».

أبو سفيان : تعال يا جرول. اهدأ واقرأ لنا القصيدة.

الحطيئة : لقد قرفت. لم يعد هذا الزمن زمناً للشعر، يريدون أن يحولوا الشعر إلى تفسير لآيات القرآن وأحاديث الرسول .. هذا ليس بشعر.

الزبرقان : ولم أنت محتد إلى هذه الدرجة؟.

الحطيئة : أنا شاعر. أنت لا تعرف ما تعنيه هذه الكلمة، أنا آكل بالشعر وأعيش بالشعر، وأجد قيمتي الوحيدة في الحياة بالشعر. آنا أتعامل مع العالم بالشعر. هم لا يفهمون.

الزبرقان : بسيطة، لا أرى آن الأمر يستحق هذا الصخب.

الحطيئة : يا أخي كل إنسان يرى قيمته في أمر .. الغني يراه بالكرم، والقوي بالشجاعة، وعلية القوم بأنسابهم وعشائرهم. أنا ماذا لدي سوى الشعر؟ لا نسب ولا مال ولا شكل. حتى أنهم قطعوا رزقي ومنعوني من الهجاء. هذه حياة خانقة. إنهم يدفعون الإنسان إلى الردة دفعاً.

الزبرقان : أنا وجدت لك حلاً، اسمع، أنا الزبرقان بن بدر، اذهب إلى مضارب قومي وانتظرني وسأكفيك وعيالك الحاجة.

الحطيئة : بارك الله فيك.

الزبرقان : وافني غداً إلى هناك كي أدلك على الطريق.

الحطيئة : بارك الله فيك وأكثر من أمثالك. «يخرج».

أبو سفيان : وما الذي ستفعله بشاعر كهذا؟

الزبرقان : سأوجهه لهجاء بني أنف الناقة.

مروان : ولكنه قال أنهم منعوه من الهجاء.

الزبرقان : لا يبدو أنه متحمس للتمسك بمبادئ الدين «يضحك».

أبو سفيان : أحسنت صنعاً. والله إنها لفكرة ممتازة.

صوت بلال : «من خارج المسرح» الله أكبر الله أكبر انتقل خليفة المسلمين أبو بكر الصديق إلى رحمة الله. الله أكبر الله أكبر أيها المسلمون أيها المؤمنون انتقل أبو بكر الصديق إلى رحمة الله.

«يخف صوته تدريجياً»

«الثلاثة يتبادلون النظرات واجمين».

صعصعة : هذا ما لم نحسب حسابه.

أبو سفيان : مفاجأة لم نتوقعها. كان يجب أن نتهيأ لمفاجأة كهذه.

صعصعة : لقد أفلت الأمر من أيدينا، لا شك أنه قد أوصى بالخلافة.

أبو سفيان : هيا بنا «يخرجون».

اظلام

«أمام سجن الحطيئة السجن بئر يمكن أن يظهر الحطيئة ضمن بقعة ضوئية».

وحشي : «ينادي» أبا مليكة يا أبا مليكة . .

الحطيئة : «ينتبه» من؟ من هذا؟.

وحشي : أنا وحشي.

الحطيئة : ماذا تريد؟

وحشي : جئت أراك.

الحطيئة : لا تستطيع أن تراني لأنني لا أرى نفسي.

وحشي : جئت أطمئن عليك.

الحطيئة : ستطمئن علي لو طمأنتني عن بناتي.

وحشي : إنهن بخير.

الحطيئة : هل لديهن ما يأكلنه؟.

وحشي : نعم لا ينقصهن شيء والحمد لله.

الحطيئة : «يدور كالمطعون» آه آه كم أخشى أن تضطر إحداهن إلى شيء ما بسبب الفاقة.

وحشي : اتكل على الله يا جرول.

الحطيئة : متكل متكل، ولكن أنت تعرف ما اضطرت إليه أمي بسبب فقرها.

وحشي : لقد قلت لك أن بناتك بخير.

الحطيئة : شكراً يا أبا دسمة.

وحشي : لا تشكرني، أنا أخوك يا أبا مليكة.

الحطيئة : أشكرك، لأنك لم تبلغني شيئًا من حاجياتهم، فلو قلت لي عن أية حاجة يحتاجونها لقتلتني قهراً وكمداً.

وحشي : أصلحك الله. مادمت تحب بناتك إلى هذه الدرجة فلماذا إذن تغضب الخليفة وتعصي الله حتى يزج بك في السجن؟.

الحطيئة : أنا لم أعص الله يا أخي، لقد هجوت الزبرقان بقصيدة. والله لم أفعل غير هذا. حتى أنني في هجائي له قلت ما لم يقله مسلم من أولئك الشعراء الأدعياء اسمع:

من يفعل الخير لا يعدم جوازيه

لا يذهــب العــرف بــين الله

وحشي : وسجنك عمر من أجل هذا فقط؟.

الحطيئة : حرضه ذلك الدعي حسان بن ثابت.

وحشي : عجيب؟!.

الحطيئة : ليس عجيباً يا أخي.

وحشي : كأن شيئاً لم يتغير.

الحطيئة : إن سادتك في الجاهلية هم سادتك في الإسلام، وأنت تأتي إلى الإسلام هارباً من عبوديتك وسادتك.

وحشي : إيه أيها العمر الهارب.

الحطيئة : ماذا قلت؟

وحشي : لا شيء، أعمارنا تجري ونحن نشيخ قبل أن نصل إلى راحة النفس. طوال هذه السنوات وأنا أحارب، كنت أعتقد أنني أحارب السادة لأقيم دولة العبيد، وإذا بي أخدم السادة وأمكنهم من العبيد. كنت أطمح أن أكون شهيداً فأنعم بغفران الله. ولكنني لم أكسب إلا الثناء الفارغ على ما يسمونه بطولة، لماذا يصل الفقراء إلى أبواب مسدودة يا جرول؟

الحطيئة : لأنهم غرباء. هذا ليس عالمهم إنه متاهة غريبة بالنسبة لهم.

وحشي : ألم نحلم ذات يوم أننا سنبني عالمنا الخاص بنا؟ كيف حدث أن تسلل إلينا الأغنياء وأعادوا ترتيب عالمنا هذا على نمط عالمهم؟

الحطيئة : لقد تعبت يا وحشي. تعبت ولم أعد أستطيع المقاومة ولذلك أرسلت قصائد اعتذار إلى عمر كان آخرها هذا الصباح.

وحشي : «يسترخي» آسمعني يا أبا مليكة.

الحطيئة : ماذا تقول لأفراخ بذي مرخ
زغب الحواصل لا ماء ولا شجر
ألقيت كاسبهم في قعر مظلمة
فاغفر عليك سلام الله يا عمر

«يختنق بالبكاء»

وحشي : كفى كفى ستقرأها لي فيما بعد. لا شك أن أمير المؤمنين سيعفو عنك.

الحطيئة : تصور أن هجاء واحد من الأغنياء يسبب لي هذا كله.

وحشي : لا شك أنه منشغل عنك وإلا لما تركك حتى الآن.

بلال : «من وراء وحشي» بل إنه فعل عين العقل والصواب.

وحشي : «يلتفت إليه» بلال؟!.

بلال : بماذا تسمم هذا الرجل؟.

وحشي : كنت آطمئن عليه. إنه صديقي كما تعرف، ونحن لم ننس جوعنا بعد، إذ قربنا الخليفة إليه.

بلال : «محتداً» إنه لم يقربني إليه. أنا قربت نفسي إليه، متى تفهمون أيها الحمقى؟ عمر هو الخليفة، وإننا نحاول أن نضرب حوله سياجاً لا يخترقه تجار قريش وأثرياؤها، فنمنعهم من الالتفاف على الخليفة والتأثير عليه. نحن نريد أن يظل الإسلام تشريعاً للعدل والإنصاف وحماية للفقراء والجائعين.

وحشي : وهل ستنجحون؟.

بلال : إن معركتنا هذه مثل معاركنا إلى جانب رسول الله، كنا في الماضي نحاول أن نثبت دعائم الإسلام، وها نحن الآن نحاول أن نثبت دعائم العدل في الإسلام، إن علياً بن أبي طالب لايفارق عمراً.

وحشي : لكي يوصي له بالخلافة.

بلال : بل لكي يبعد عنه التجار والأغنياء، فلا يقع تحت تأثيرهم، وليس علي وحده، هناك علي وعمار وأبو ذر الغفاري.

وحشي : كفى كفى لماذا تلقي علي بهذه الخطبة العصماء؟.

بلال : لكي أنبهك إلى أنك تناصر رجلاً خارجاً عن الدين بوقوفك إلى جانب هذا الأحمق.

الحطيئة : اشتمني أنت أيضاً يا بلال. أنا متعود على الشتائم. اشتموني جميعاً. أنا الخسيس السؤول الدنيء البخيل القميء.

بلال : أنا لا أشتمك. أنا أحدد لك ما فعلته.

وحشي : لم يفعل شيئاً. هجا رجل أساء إليه.

بلال : بل خالف الدين.

الحطيئة : هل صار هجاء الزبرقان بن بدر مخالفة للدين؟.

بلال : طبعاً، الهجاء مخالفة للدين. أنتم تظنون أنفسكم ما زلتم في الجاهلية وما زلتم تعتقدون أنه يمكن تأمين الطعام والمال بالهجاء والمديح.

الحطيئة : وما الخطأ في هذا؟.

بلال : بالمديح تعزز النعرة الجاهلية المتمثلة في التعلق بالأنساب، وبالهجاء تهجو القبيلة كلها فتأخذ الأبرياء بجريرة من أساء إليك.

الحطيئة : كان لا بد من هجاء القبيلة كلها معه.

بلال : لماذا؟.

الحطيئة : والله لو وجهت نقمتي عليه وحده لأحرقته.

بلال : لقد تغير الزمن يا جرول.

هند : «والزبرقان يدخلان» السلام عليكم.

بلال : وعليكم السلام ورحمة الله.

هند : ماذا تفعلون هنا؟.

وحشي : إننا نزور الحطيئة لقد حبسه عمر هنا.

هند : «لا تهتم لوحشي» لقد سمعت.

الحطيئة : «ينادي» من؟ هند بنت عتبة؟.

هند : أتريد أن تبلغني شيئاً يا جرول؟.

الحطيئة : أتوسل إليك يا سيدتي أن تكلمي الخليفة في شأني.

هند : سأفعل وسيعفو عنك إذا ما سامحك الزبرقان. إنه معي هنا.

الزبرقان : «ساخراً» أنت مسرور هنا؟.

الحطيئة : كما تراني.

الزبرقان : أهذا المكان أفضل لك أم جواري؟.

بلال : أجئت هنا لكي تشمت به؟.

الزبرقان : «لا يهتم لبلال» هؤلاء الفقراء كالأفاعي في الشتاء، إنك تعتنين بهم إذ تأخذك الشفقة وما أن يحسوا بالدفء حتى يتحركوا ويلدغوك.

الحطيئة : أغررتني وزعمت أنك لابنٌ في الصيف تامر، فلقد كذبت فما خشيت بأن تدور بك الدوائر.

هند : يبدو أن الأفاعي تفح وهي في أوكارها.

الزبرقان : أنت تعرفين أي خسيس وضيع هو ذلك الرجل.

هند : وماذا تتوقع من رجل ضائع النسب؟ لكنك رغم ذلك ستثبت أنك النبيل الكريم ولاتنزل إلى منزلته فتعفو عنه أمام عمر.

الزبرقان : لقد خرج الأمر من يدي الآن وأصبح في يد الخليفة.

الحطيئة : دعيه يا سيدتي. إذا شئت أن تساعديني فكلمي الخليفة بشأني، أما هذا الرجل فسيضن بعفوه ولا آستغرب. لقد ضن بمائه على ابن السبيل.

الزبرقان : ألم تكتفِ من الفحيح أيها الأفعى؟ أتظنني مثلك؟ أنت بخلت بفيء بيتك على عابر سبيل.

هند : أتقارن نفسك به؟ هيا بنا، إن الغضب يقودك إلى إذلال نفسك.

الزبرقان : والله لن أغفر لهذه الأفعى، وسأجعله أمثولة للؤماء المسلمين.

هند : هيا بنا «للحطيئة» لا تهتم سأكلم الخليفة بشأنك «يخرجان».

بلال : سأذهب معهما، أريد أن أكون حاضراً عند الحديث عنك.

«يخرج».

وحشي : ما كان عليك أن تغلظ له القول.

الحطيئة : ألا ترى إلى أين أوصلني؟

وحشي : ولكن لو أنك لاطفته لأحسن القول عنك أمام أمير المؤمنين.

الحطيئة : لن يحسن القول بي، أنا أعرفه، رجل ماكر لئيم، كنت أظنه يريد جواري لكي ينتفع بشعري، وإذا به يريد ابنتي. تصور رجل تافه مليء الجيوب يستغلني، كنت أظنه يقدر الشعر، وإذا به يحتقر شعري ويحاول أن يغرر بابنتي.

وحشي : هل فعل ذلك؟.

الحطيئة : كان يريد أن يفعل ذلك. يظنون أنني رحلت من جواره بسبب غيرة زوجته من ابنتي. لا يعرفون أنني أغار على ابنتي من سفالته. لم يبق لهم إلا أن يسطوا على أعراضنا. الكلاب.

وحشي : «بمرارة وهو ينهض» لم يعد المرء يعرف ما سيفعله «يبتعد قليلاً يركع ويرفع يديه بالدعاء»:

اللهم إنك لم تشرك في خلقنا غيرك فلا تشرك بالإحسان إلينا غيرك. اللهم لارب لنا غيرك. فلا تجعل حاجتنا عند غيرك. اللهم إننا لا نعبد غيرك فلا تسلط علينا غيرك.

إطفاء

وحشي : «جالس أرضاً، ينظر باستغراق في اتجاه برميل من الخمر. يدخل بلال».

بلال : وحشي. ما بك؟.

وحشي : لا شيء.

بلال : مستغرق وكأنك نائم.

وحشي : «ينهض» كنت أغرق نفسي في برميل خمر.

بلال : ماذا؟.

وحشي : هذا البرميل الموضوع أمام الخمارة، أتراه؟ أحس أنني أستطيع أن أشربه كله.

بلال : أستغفر الله يا رجل. إنه الشيطان يوسوس لك.

وحشي : لا يا بلال، ليس الشيطان، أنا اعرف نفسي، إنها الحرقة القديمة تعود إلى حلقي وقلبي، تلك الحرقة التي لايطفئها إلا الخمر.

بلال : اقرأ القرآن يا أخي تسترح نفسك.

وحشي : آلامنا اعقد من ذلك يا بلال . . «لنفسه»:

دع عنك داراً عفا رسمها
وابك على حمزة ذي النائل

بلال : أعدنا إلى هذا الموضوع؟.

وحشي : آه يا صديقي، أنت لا تجهل إلى أين انتهينا.

بلال : «يحتضنه» يا عزيزي إن الأمور تسير من حسن إلى أحسن، لقد اتخذ عمر بن الخطاب عدة قرارات هامة، لقد عين عمار بن ياسر والياً، أتعرف بمَ أوصاه؟ قال له اقطع يد السارق، ولكن إن جاءني من عندك جائع قطعت يدك.

وحشي : وماذا لو أن الجائع لم يستطع أن يصل إلى عمر؟.

بلال : ولقد قال أمس «لو أنني استقبلت من عمري ما استدبرت لأخذت فضلة أموال الأغنياء فرددتها إلى الفقراء».

وحشي : هل أنت سعيد بذلك؟.

بلال : وكيف لا أكون سعيداً؟ ألست سعيداً أنت؟.

وحشي : إن سعادتي مستحيلة يا بلال. كلما تظاهرت بالسعادة أحسست أنني أرتكب خيانة.

بلال : ما الذي تريده أكثر من ذلك؟.

وحشي : أنت متفائل جداً، إنهم لن يتركوكم تنعمون بهذه الحالة الجديدة؟

بلال : لسنا نائمين. إننا نجمع صفوفنا ونزداد صلة بالناس.

وحشي : لن تهدأ هذه النفس ما لم أرهم مسجونين في الآبار مثل الحطيئة.

بلال : بالمناسبة لقد قرر أن يطلق سراح الحطيئة.

وحشي : هنئه نيابة عني. لا شك أنه سيكون سعيداً بعودته إلى أسرته.

بلال : وأنت ما الذي تريده أكثر من ذلك؟.

وحشي : «يغص بالبكاء» يا بلال، أنا ذاهب إلى جهنم.

بلال : لا تقل هذا يا أخي.

وحشي : كنت أطمع أن أنال الغفران بالشهادة، ولكن الحروب انتهت. وها أنا أشيخ دون أن أوفق إلى الشهادة، ماذا بقي لي؟.

هند : «تدخل» السلام عليكم.

بلال : وعليك السلام ورحمة الله وبركاته.

وحشي : تفضل انظر إليها، ما الذي تغير في وضعها منذ بدء الدعوة حتى الآن.

هند : أتكلمني يا وحشي؟.

وحشي : لا، إنني أكلم نفسي.

هند : «لبلال» هل جرى لعقله شيء؟.

وحشي : نعم يا سيدتي. إنني الآن مجنون. مجنون تماماً انظري «يقفز ويقوم بحركات مبالغ فيها».

بلال : وحشي، كفاك يا أخي.

وحشي : لماذا توقفني؟ بعد أن خدمتهم طوال حياتي، يجب أن أضحك هذه السيدة في شيخوختي.

هند : وحشي. إذا كنت تحتاج إلى شيء فأنا أستطيع إعانتك، هل أنت بحاجة إلى المال؟

وحشي : لا.

بلال : دعيه يا سيدتي.

وحشي : لا تفرحي يا هند واستحلبي
دمعاً وأذري عبرة الثاكل

هند : «صارخة» وحشي.

وحشي : وابكـي علـى عتـبة إذ قَطّـه

بالسـيف تحـت الـرهج الجاهل

هند : وحشي! لم تردد هذا الشعر؟

وحشي : لقد حفظت القصيدة كلها كما تعلمين، أليس حسان شاعراً عظيماً؟

هند : هذا العجوز الخرف. لقد تغير كل شيء الآن.

وحشي : واضح، واضح. لقد أصبح مقرباً إليكم. وابتلع شعره القديم كما تبتلع الأفعى لسانها.

هند : يبدو أن العبيد لم يخلقوا إلا للعبودية.

بلال : يبدو أن الإسلام لم يدخل إلى بعض النفوس، ولذا لم يتغير فيها شيء. والله يبدو لي أن وحشي على حق.

هند : أتؤيده ضدي يا بن السوداء؟

بلال : ألم يقل رسول الله صلى الله عليه وسلم لا فضل لابن البيضاء على ابن السوداء إلا بالتقوى أو بعمل صالح؟

هند : تتضامن معه، إذن؟ هكذا تفهمون الإسلام. تكاتف العبيد والهجناء والصعاليك وضائعي الأنساب لاقتناص سيادة العرب؟

بلال : نحن لسنا طامعين بالسيادة، لكننا لن نظل عبيداً، نحن طامعون بالكرامة.

وحشي : لا. أنا طامع بالسيادة. أنا لم أرض بشيء مما جرى، أريد حقي في أن أكون سيداً، سيداً على نفسي وسيداً على العرب. هل نحن متساوون حقاً؟ لم إذن لا يحق لي التفكير في أن أكون الخليفة؟

هند : «تغرق في الضحك».

أبو سفيان : «وهو يدخل مع الزبرقان» ما يضحكك يا هند؟

هند : تعال اسمع، وحشي مقهور لأن المسلمين لم ينتخبوه خليفة.

الزبرقان : والله إن القيامة تقترب، العالم كله يقف على رأسه، لقد ضاعت الحدود بين الأشياء.

بلال : هل هناك ما يسوؤك من كلام وحشي؟

أبو سفيان : كيف لا يستاء؟ هل تظن أيها الحبشي أننا سنسلم قيادتنا للخلعاء والعبيد.

الزبرقان : لا شك أنهم ينسقون أعمالهم. هذا لا ينفصل عما فعله سلمان الفارسي في الكوفة.

هند : ماذا فعل؟

الزبرقان : لقد أنشأ تجمعات للصناع والرعاع ليطالبوا بحقوقهم ويثيروا الشغب.

هند : إنها الفتنة التي تستهدف العروبة والعرب، يجب أن تضعوا حداً لهم، كيف تسكتون؟

أبو سفيان : ومن قال لك أننا سنسكت؟

وحشي : «يتمشى بتبختر وبهدوء وهو ينظر إليهم شذراً».

اسمحوا لي أن أعبر لكم عن احتقاري. تفو «يبصق باتجاههم».

الزبرقان : «يمتشق سيفه» تبصق علينا أيها الكلب؟

وحشي : «وهو يمسك بحربته جيداً» أعتذر بحرارة لأن بصقتي لم تصل إلى وجهك.

الزبرقان : لا تظن أنك ستتصرف دون أن تدفع ثمن هذه الإهانة من دمك.

وحشي : «يتجه إليه مصمماً» كنت أظن أنني قد شخت وفقدت الفرصة في الشهادة. ها هي الفرصة تأتي على قدميها «يرفع حربته» هيا أيها الضب تعال نازلني.

بلال : «يمسك بوحشي» وحشي . . اهدأ.

أبو سفيان : «يمسك بالزبرقان» لا تلوث سيفك بدمه القذر يا أخي.

وحشي : «يقذفه بالحربة، لكن بلال يدفعه فتخطئه الضربة».

لقد أفسدت عليّ آخر طعنة في عمري يا بلال.

«يجتمع بعض الناس»

أترى هذه الحربة؟ لقد قتلت الحمزة وطعنت مسيلمة وكان بودي أن أختم رحلتها بدمك النتن ودم هذه الأفعى «مشيراً إلى أبي سفيان».

«يسحبون وحشي ويبدون متعاطفين معه».

واحد : تعال معنا.

واحد : اهدأ قليلاً.

واحد : ليس الآن وقت هذه المشاحنات «يخرجون به».

الزبرقان : أيرضيكم هذا؟ صاروا يتجرأون علينا.

أبو سفيان : لا تنفعل يا أخي.

هند : إنك تضيع نفسك بمواجهتك مع هؤلاء السفلة. يجب أن تحذر من هذه المواجهات، ماذا يعني إذا قتلت وحشياً. أو خاصمت الحطيئة؟.

الزبرقان : تصور أن الحطيئة الذي شتمني سيطلق الخليفة سراحه بعد قليل. إن الخليفة هو الذي يشجعهم.

أبو سفيان : لن يدوم هذا طويلاً، ثق بنا.

هند : هذه أمور صغيرة فكر في ما هو أهم. يجب أن نتوصل إلى الإمساك بمقاليد الأمور.

أبو سفيان : «يشرح له» نحن الآن نحيط بالخليفة كالطوق، ومعظم الولاة يؤيدوننا، حتى أن الشكاوى التي تأتي إلى الخليفة لم تعد تصل إليه.

الزبرقان : ولكن يجب أن يعرف الرعاع والعامة أننا ما نزال سادة وأنه ليس من السهل على أي منهم أن يتطاول علينا.

هند : في الوقت المناسب سيعرفون.

الزبرقان : أنتم لا تعرفون أن العامة يحبون الحطيئة وأنهم يرددون أشعاره التي تشهر بنا، إنهم يرونه الآن بطلاً.

أبو سفيان : لا تهتم.

هند : دعهم يكتبون الأشعار ودعنا نفكر في ما هو أهم، ماذا ستنفعهم أشعارهم وكتاباتهم؟ .

الزبرقان : إنه الآن عند الخليفة، والله العظيم إن أطلق سراحه لأفجرنّها فتنة.

أبو سفيان : اسمع. إن عمراً يحب أن يبني قراراته على الشورى. وهو لا بد أن يستشيرنا في أمره ولن تكون إلا راضياً.

حسان : «يدخل وهو يشد الحطيئة من كتفه، يتوجه للزبرقان» قال عمر: خذه لأبي شذرة «للزبرقان» إنه لك، «ويدفعه فيلقيه أرضاً».

الزبرقان : «يلتفت حوله فيجد حبلاً يلقيه على عنق الحطيئة ويجذبه بشدة فيجره على الأرض بقسوة».

وقعت في يدي أخيراً يا عدو الله.

الحطيئة : ارحمني يا أبا شذرة «لأبي سفيان» أبا سفيان أسألك بكرامة رسول الله أن تشفع لي عنده.

«يدخل وحشي»

الزبرقان : «للحطيئة» والله لأقطعن لسانك وأجعلنك عبرة لكل من تسول له نفسه التطاول على أسياده.

أبو سفيان : معك حق والله. ائتوني بالطست، علي بنطع وسكين، لابل موس فإنه أسرع وأقطع.

الحطيئة : سألتك بكرامة رسول الله أن تعفو عني.

وحشي : لكن الخليفة عفا عنه.

هند : بل تركه لحكم الزبرقان.

أبو سفيان : وما علاقتك أنت؟.

الحطيئة : ارحموني، أيها الناس، اغفروا لي أرجوكم «يزحف نحوهم».

وحشي : «صارخاً» لا تتذلل لهم يا جرول.

حسان : أيها الناس هذا من الشعراء الذين يتبعهم الغاوون. يقول الهجو وينسب بالحرم ويمدح الناس ويذمهم بغير ما هو فيهم.

الحطيئة : أتوسل إليكم بحق الله وبحق رسوله، والله لن أعود لمثلها «يزحف على أقدامهم».

وحشي : لا تركع يا جرول. لا تتذلل لهم.

الحطيئة : «لا يهتم له» لن أعود لمثلها يا أبا شذرة لا والذي لا يواريني منه شيء. احتسبها لوجه الله ولإصلاح هذه النفس الأمارة بالسوء.

الزبرقان : صرت ترجوني الآن أليس كذلك. «يسحبه بالحبل ثم يدوسه».

وحشي : أيها الأوغاد، كيف تعذبون رجلاً عفا الخليفة عنه؟.

حسان : ومن وضعك حامياً لأوامر الخليفة؟.

الحطيئة : لن أعود لمثلها. أتوسل إليكم.

أبو سفيان : إنه يعلن توبته يا أبا شذرة، وأنا أكفله «يغمز له».

الزبرقان : أهي توبة صادقة؟.

الحطيئة : لن أعود لمثلها والله «يقبل قدميه» سامحني.

الزبرقان : «يركله» انهض إذن، والله إن سمعت عنك كلمة سوء سأقطعن لسانك ولو كنت في طرف الدنيا.

الحطيئة : «يهجم عليه ويقبل يده» أشكرك يا سيدي أنا عبدك إلى الأبد.

«يسحبون الحطيئة ويخرجون به. وحشي وحده يتجه مندفعاً إلى برميل الخمر ويبدأ بتعبئة كيل كبير منه ويصب الخمرة حتى تسيل على وجهه وملابسه. إطفاء حتى يبقى وحده في بقعة ضوئية».

بلال : «يدخل» وحشي!

وحشي : «يجلس أرضاً وهو يشرب» دعني.

بلال : لا تيأس يا أخي. معركتنا معهم لم تنته. ستبقى إلى الأبد.

وحشي : لقد انتهى كل شيء «يشرب» دعني.

بلال : سأدعك فعلاً. أنت لم تعد مفيداً.

وحشي : «بأسى» لقد تعبت. انتهى كل شيء. أذلوا الحطيئة وضاعت مني الشهادة. أهذا هو العدل الذي وعدتمونا به؟ دعني. لقد تعبت.

بلال : أما نحن فلم نتعب. سنظل نصارعهم.

وحشي : «بسخرية ومرارة» حول الخليفة. أليس كذلك؟

بلال : في كل مكان. في السر والعلن. حول الخليفة وبين الفقراء. نحن أكثر والمستقبل لنا.

وحشي : أنا لا أبحث عن المستقبل. أنا رجل له ماض.

بلال : لا جدوى منك «يتجه للخروج» لكننا لن نيأس «يخرج».

وحشي : «يعبئ الخمرة من جديد، يشرب ويسكب الخمرة على نفسه، يتعتع بالغناء»

كليني لهم يا أميمة ناصب

وليلٍ أعانيه بطيء الكواكب

تطاول حتى قلتُ ليس بمنتهٍ

وليس الذي يرعى النجومَ بآيب

«يردد الغناء، وقد تعتعه السكر، يترنح حتى يسقط أمام الجمهور»

ستار

سلسلة ذاكرة المسرح السوري

1	أبو خليل القباني	ناكر الجميل
2	عبد الوهاب أبو السعود	وا معتصماه
3	وصفي المالح	طريق النصر
4	خليل هنداوي	هاروت وماروت
5	حكمت محسن	صابر أفندي
6	مراد السباعي	شيطان في بيت
7	حسيب كيالي	قارعو الأبواب
8	سلمان قطاية	القضية والحل
9	محمد الماغوط	العصفور الأحدب
10	وليد مدفعي	وبعدين؟..
11	وليد فاضل	إيفا
12	وليد إخلاصي	سهرة ديمقراطية على الخشبة
13	سعد الله ونوس	طقوس الإشارات والتحولات
14	فرحان بلبل	الممثلون يتراشقون الحجارة
15	علي عقلة عرسان	رضا قيصر
16	مصطفى الحلاج	الدراويش يبحثون عن الحقيقة

17	عبد الفتاح قلعجي	العرس الحلبي
18	رياض عصمت	لعبة الحب والثورة
19	ممدوح عدوان	ليل العبيد
20	طلال نصر الدين	الديك
21	حكيم مرزوقي ـ عبد المنعم عمايري	حلم ليلة عيد ـ صدى
22	زيناتي قدسية ـ موفق مسعود	مجنون يحكي وعاقل يسمع ـ الرجل الدائري
23	الأب إلياس زحلاوي	المدينة المصلوبة
24	أحمد يوسف داوود	الخطا التي تتحدر
25	شوقي بغدادي	تلك الليلة
26	الكتاب الشباب ج1	
	- عدنان العودة	خيل تايهة
	- عمر أبو سعدة	ليلة
	- محمد أبو لبن	آخر العشاق
	- يم مشهدي	باريس في الظل
	- الفارس الذهبي	ريح
27	الكتاب الشباب ج2	
	- هوزان عكو	بروانة أو الحرائق
	- كفاح الخوص	حكاية بلاد ما فيها موت
	- وائل قدور	الفيروس
	- ليندا الأحمد	الملحق
	- يامن محمد	قدم إلى الأمام قدم إلى الوراء

إصدارات دار ممدوح عدوان

- الأعمال المسرحية الكاملة تأليف: ممدوح عدوان. ط1 (2006)
- هواجس الشعر/ دراسة نقدية. تأليف: ممدوح عدوان. ط1 (2006)
- أعدائي/ رواية. تأليف: ممدوح عدوان. ط3 (2007)
- الجنوبي/ سيرة الشاعر أمل دنقل. تأليف: عبلة الرويني. ط2 (2006)
- تفسير الأحلام/ قصص قصيرة. تأليف: الفارس الذهبي. ط1 (2007)
- جنون آخر/ مقالات. تأليف: ممدوح عدوان. ط1 (2007)
- النقد الذاتي بعد الهزيمة/ دراسة. تأليف: صادق جلال العظم. ط3 (2007)
- تقرير إلى غريكو/ سيرة ذاتية. تأليف: نيكوس كازنتزاكيس. ترجمة: ممدوح عدوان. ط2 (2007)
- زوربا البرازيلي/ رواية. تأليف: جورج آمادو. ترجمة: ممدوح عدوان. ط2 (2007)
- تهويد المعرفة/ دراسة. تأليف: ممدوح عدوان. ط2 (2007)
- حيونة الانسان. تأليف: ممدوح عدوان. ط2 (2007)
- مختارات شعرية. تأليف: أمجد ناصر. ط1 (2007)
- تاريخ التعذيب/ دراسة. تأليف: بيرنهاردت ج. هرٍوود. ترجمة: ممدوح عدوان. ط2 (2008)

- أطياف ممدوح عدوان: شهادة الحياة وشهادة الإبداع (حوارات منتخبة)/ دراسة. تأليف: أ د محمد صابر عبيد. ط1 (2008)
- حكاية الشيخ أبي خليل القباني والوالي مدحت باشا العثماني./ مسرحية. تأليف: دلع الرحبي. ط1 (2008)